الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة -ببوسعادة

المجاهد الفريق أحمد قايد صالح

قسم اللغة العربية

Ecole Normale Supérieure

Bou-Saada

Dép. LA

اعتمدت بتاريخ
2023/05/11
02/23

محاضرات في اللسانيات

المقياس: اللسانيات

المستوى: السنة الأولى

الأستاذ: الطاهر شارف

الرتبة: أستاذ محاضر "أ" بالمدرسة العليا للأساتذة ببوسعادة

السنة الجامعية: 2023/2022م – 1444/1443هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة -ببوسعادة

المجاهد الفريق أحمد قايد صالح

قسم اللغة العربية

Ecole Normale Supérieure

De Bou Saada

Dép - L.A

محاضرات في اللسانيات

لطلبة اللغة والأدب العربي بالمدارس العليا للأساتذة

المقياس: اللسانيات

المستوى: السنة الأولى "أساتذة التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي"

الأستاذ: الطاهر شارف

الرتبة: أستاذ محاضر "أ" بالمدرسة العليا للأساتذة ببوسعادة

السنة الجامعية: 2023/2022م – 1444/1443هـ

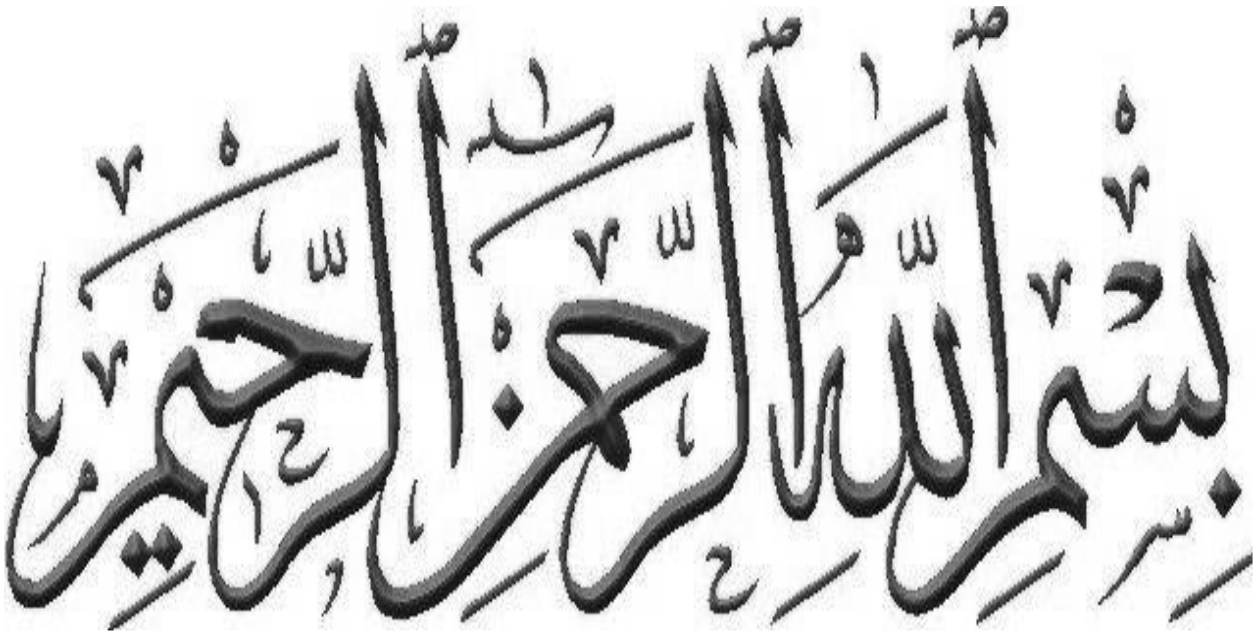
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذه محاضراتٌ مختصرة لفائدة طلبة السنة الأولى بالمدارس العليا للأساتذة، هي بمثابة المداخل لعلم اللسان ونظرياته، ركّزت فيها على المتعارف عليه بين اللسانيين، المشهور في كتبهم؛ مؤمّلا إعطاءَ لمحة عن هذا العلم الذي يصعب تناوله على كثير من المبتدئين، علها تشق سبيلا للتحصيل، أو تنير طريقا لمستزيد، ولا أدّعي الإبداع والتجديد، بل غاية ما صبوتُ إليه هو إيصال الفكرة، وتيسير المحتويات، وطرح قضايا للنقاش.

واللهَ تعالى نسأل التوفيق والسداد.

المحاضرة الأولى: مفاهيم أساسية

يميّز اللسانيون بين مفهومين للغة؛ مفهوم عام: يعدّ اللغة نظاما من الإشارات وظيفته الأساسية التبليغ، ويقابلونه بمصطلح Langage، ومفهوم خاص: ينحصر فيه نظام التبليغ في مستوى مجموعة لغوية معينة، ويقابَل بمفهوم langue. يترجم في العربية بمصطلح **(لسان)**، ويترجم عند بعض اللسانيين إلى **لغة**؛ فتحديد المقصود من المصطلح يتم عبر السياق، فإذا تحدثنا عن لغة معينة كاللغة العربية أو اللغة الدانمركية أو الإنجليزية فنحن هنا نتحدث عن المفهوم الخاص أي مفهوم langue أو ما يسمى **اللسان**؛ فنقول لسان عربي أو لسان دانمركي، وهكذا... أما إذا كان المقصود باللغة تلك الخاصية البشرية الفطرية التي تمكن البشر من التواصل دون تحديد لغة معينة، فالمقصود به اللغة بمفهوم Langage.

ويفرق (دي سوسير) بين المصطلحات الثلاثة؛ اللغة، اللسان، الكلام؛ فاللغة Langage عنده ظاهرة إنسانية وملكة، واللسان Langue جزء متحقق منها؛ وهو اجتماعي عرفي مكتسب داخل جماعة محددة، والكلام Parole فردي ينتمي إلى اللسان[1].

أولا: اللسان واللسانيات:

1- مفهوم علم اللسان

اللسانيات علم يمتلك كل الخصوصيات المعرفية التي تميزه عما سواه من العلوم الإنسانية الأخرى؛ من حيث الأسس الفلسفية، والمنهج، والمفاهيم، والمصطلحات، والموضوع، وموضوع اللسانيات هو اللسان.

1 ينظر: أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1999، ص18.

وقد جاء في معجم اللسانيات لـ "Jean Dubois" (جون دي بوا) أن اللسانيات هي "العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية"[1].

ويقول ابن فارس (ت395هـ) في مادة لسن: "اللام والسين والنون أصل صحيح واحد، يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو في غيره ومن ذلك اللسان وهو معروف مذكر والجمع ألسن، فإذا أكثر فهي الألسنة، ويقال لسنته إذا أخذته بلسانك؛ قال طرفة:[2]

وإذا تلسُنُني ألسُنُها *** إنني لست بموهونٍ فَقِرْ

وقد يعبَّر باللسان عن الرسالة فيؤنّث حينئذ، كما في قول الأعشى[3]:

إني أتتني لسان لا أُسَرّ بها *** من عَلْوَ لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ

واللَّسَن جودة اللسان والفصاحة، واللِّسَن اللغة، وحكى أبو عمرو لكل قوم لِسْن أي لغة.»[4] يقول الراغب الأصفهاني (ت502هـ) في مادة لسن: "اللسان الجارحة وقوتها، وقوله ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27)﴾ [طه: 27]؛ يعني به من قوة لسانه، فإن العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوته التي هي النطق به، ويقال: لكل قوم لسان، ولِسن بكسر اللام؛ أي لغة. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاه بلسَانِك﴾ **[الدخان: 58]** وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ **[الشعراء: 195]** و﴿ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ **[الروم: 22]** فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات

1 السابق، ص11.

2 محمد فوزي حمزة: دواوين الشعراء العشرة (ديوان طرفة بن العبد البكري)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2016، ص62.

3 ينظر: ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، (ل س ن).

4 نفسه (ل س ن)؛ معجم مقاييس اللغة، ص833.

وإلى اختلاف النغمات؛ فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر."[1].

2- اللسان في القرآن الكريم

ورد لفظ اللسان في القرآن الكريم للدلالة على نظام التواصل المتناول بين أفراد المجتمع البشري، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ **[إبراهيم: 04]** وقوله: ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103)﴾ **[النحل: 103]**، وقوله: ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ(194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) ﴾ **[الشعراء: 195]** وقوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ(22) ﴾ **[الروم: 22]**.

وكان المشركون يرون النبيﷺ يمر بنصراني أعجمي فقالوا إنه يتعلم منه الوحي فنزلت الآية: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ(103) ﴾ **[النحل: 103]**.

3- اللسان في الاصطلاح

إذا نظرنا نظرة سريعة في التراث الفكري العربي فإننا نجد أغلب الدارسين يستخدمون مصطلح اللسان، ويعنون به النظام التواصلي المشترك بين أفراد المجتمع في البيئة اللغوية المتجانسة، وهم وإن استعملوا أحيانا مصطلح اللغة؛ فيعنون به لهجة معينة أو حالة نطقية مخصوصة مما يشير إلى أنّ اللسان في الفكر العربي هو موضوع الدرس اللغوي.

ونجد ذلك واضحا عند عدد غير قليل من المؤلفين القدامى؛ منهم مثلا:

1 مفردات غريب القرآن، دار القلم، دمشق، (د ت)، ص740.

الفارابي (ت339هـ) إذ يقول في هذا الشأن: " علم اللسان في الجملة ضربان: حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما وعلم ما يدل عليه شيء منها والثاني علم قوانين تلك الألفاظ. وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى: علم الألفاظ المفردة، علم الألفاظ المركبة، علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة وقوانين تصحيح الأشعار"[1].

ابن خلدون(ت808هـ) ونجد عنده مصطلح اللسان موضوعا للدراسة العلمية شائعا ومألوفا؛ حيث عقد فصلا في مقدمته عنون له بقوله: في علوم اللسان العربي، ثم أدرج تحت هذا العنوان علم النحو، علم اللغة، علم البيان، علم الأدب.

إن **مصطلح اللسان** Langue: يدل على نظام تواصلي قائم بذاته، وهذا النظام يمتلكه كل فرد متكلم مستمع ينتمي إلى مجتمع له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة ويشارك أفراده في عملية الاتصال، ولهذا النظام أبعاده الصوتية والتركيبية والدلالية، وهو الذاكرة التواصلية المشتركة بين أفراد الجماعة[2]؛ وحينما ينجز المخزون المشترك في الواقع الفعلي؛ أي حينما يتحول من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل يصبح كلاما Parole؛ أي الإنجاز الفعلي للسان في الواقع.

فاللسان في جوهره أصوات، والأصوات علامات تترابط منسجمة في تكامل بحيث تشكل بنية هي البنية الصوتية التي تقترن بمدلولها لتحقيق العملية الإبلاغية عن طريق البنية التركيبية.

4- مصطلح اللسانيات: ظهر مصطلح اللسانيات أول مرة في ألمانيا، ثم استعمل في فرنسا ابتداء من 1826م، ثم ظهر في إنجلترا ابتداء من سنة 1855م.

1 الفارابي (أبو نصر): إحصاء العلوم، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1991، ص9، 10.

2 وهي الذاكرة التي يمكن لها أن توصف بالعربية أو الفرنسية أو الإنجليزية فيقال: اللسان العربي، اللسان الفرنسي، اللسان الإنجليزي..

واللسانيات: هي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل مجتمع، فهي دراسة تتميز بالعلمية والموضوعية وسنقف عند هاتين الميزتين:

1 . العلمية: نسبة إلى العلم؛ وهو بوجه عام المعرفة وإدراك الشيء على ما هو عليه، وبوجه خاص دراسة ذات موضوع محدد، وطريقة ثابتة تنتهي إلى مجموعة من القوانين والعلم ضربان:

. نظري: يحاول تفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها.

. تطبيقي: يرمي إلى تطبيق القوانين النظرية على الحالات الجزئية.

ونعني بالدراسة العلمية: البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على المقاييس التالية:

1. ملاحظة الظاهرة والتجريب والاستقراء المستمر.
2. الاستدلال العقلي والعمليات الافتراضية والاستنتاجية.
3. استعمال النماذج والعلائق الرياضية للأنساق اللسانية مع الموضوعية المطلقة.

2 . الموضوعية: نسبة إلى الموضوع؛ أي كل ما يوجد في العالم الخارجي من الأشياء في مقابل العالم الداخلي أو الذات، والموضوعي هو كل ما تتساوى حالاته عند جميع الدارسين على الرغم من اختلاف الزوايا التي يتناولون من خلالها الموضوع، ومن هنا وجب أن تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائليها، بعيدة عن التأثر بأهوائهم وميولاتهم؛ فتتحقق بالبحث العلمي والموضوعية[1] والنزاهة.

ثانيا: مصطلح (لغة / لسان) في الدراسات العربية

علوم اللغة Sciences du langage: كثيرا ما يستعمل مصطلح علوم اللغة مرادفا لمصطلح اللسانيات، إلا أن بعضهم يرى أن هناك فرقا لطيفا بين المصطلحين؛ إذ في الوقت الذي تتجه فيه اللسانيات إلى دراسة اللسان بمستوياته المختلفة؛ كالأصوات والإفراد

1 فالموضوعية إذن هي طريقة العقل الذي يتعامل مع الأشياء على ما هي عليه فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو تحيز ذاتي.

والتركيب؛ حيث تتم هذه الدراسة بأدوات لغوية بحتة، نجد أن علوم اللغة تتناول اللسان وتتوسع إلى مجالات أخرى غير لسانية؛ فمصطلح علوم اللغة يشمل مصطلح اللسانيات؛ لأن دراسة اللغة أصبحت بحكم التطور التكنولوجي والعلمي بحاجة إلى علوم أخرى غير لغوية كعلم النفس وعلم الاجتماع والرياضيات والإعلام الآلي، فأصبحنا إذن أمام لسانيات موسعة في مقابل لسانيات اكتفت بالوسائل اللغوية في دراسة اللسان كعلم النحو وعلم الصرف؛ فعلوم اللغة أشمل من اللسانيات.

استعمل مصطلح لغة في الدراسات اللغوية العربية بمفاهيم مختلفة أبرزها ما يأتي:

1- مرادفًا لمصطلح لسان، يعرّف ابن جني اللغة بقوله: "أما حدُّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم."[1] وهذا المفهوم يطابق مفهوم اللسان.

2- مقابلًا لكلمة نحو كما تقابل مصطلح العربية؛ قال ابن يعيش: "المراد بالعربية اللغة وإن كانت العربية أعم من اللغة؛ لأن اللغة تقع على كل مفرد من كلام العرب، والعربية تقع على المفرد والمركب."[2]

3- المفهوم الناتج من مقابلتها كلمة (اصطلاح). نقول تعريف الشيء لغة كذا وفي الاصطلاح كذا.

4- مفهوم اللهجة **أو** الاستعمال الإقليمي؛ وهو مثل ما نجده في هذه العبارات: والرفع في جميع هذا عربي كثير في جميع لغات العرب. لغة كثيرة في العرب جيدة. لغة أهل الحجاز. لغة هذيل، ومن البيّن أن كلمة لغة تدل هنا على استعمالات لغوية إقليمية أو قبلية تمتاز عن الاستعمال العام بميزات خاصة.

---

1 ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت392هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (د ت)، 1/ 33.

2 ابن يعيش (موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، ت643هـ): شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 1/ 41.

فهذه أربعة معان بما فيها مدلولها الذي حدده ابن جني ترجع كلها إلى مفاهيم لسانية محضة، أمـــا لفظ (لسان) فإنه لا يدل – بهذا الاعتبار– إلا على معنى واحد وهو المعنى المقصود في تسميته بعلم اللسان. إذن نصطلح على الآتي[1]:

إذا أضفنا كلمة علم إلى اللسان يصبح العلم الذي يختص بدراسة اللسان البشري ويختصر إلى مصطلح لسانيات مثلما يقال: رياضيات، طبيعيات، أما إذا أضفنا كلمة علم إلى اللغة فيقصد به العلم الذي يدرس أوضاع مفردات اللغة.

علم اللسان وعلم اللغة:

ورد في التراث لفظ "اللسان" مقابلا للفظ "اللغة" يقول زهير بن أبي سلمى[2]:

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ *** فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

وكان لفظ اللسان الأكثر شيوعا واستعمالا في كتب الدراسات اللغوية القديمة. ومن الكتب العربية القديمة التي استعملت لفظ "اللغة" مقابلة للسان كتاب المحكم لابن سِيده، وكتاب التهذيب للأزهري. ويُذكر أن كلمة اللسان ظلت تستخدم منذ العصر الجاهلي إلى غاية العهد العباسي (بداية القرن الثالث الهجري) بمعنى واحد، يقول الفارابي: "إنّ الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان: مفرد ومركب...، وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى."[3]

ويعرف ابن جني اللغة بقوله: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[4]. وهذا تعريف دقيق يذكر كثيرًا من الجوانب المميزة للغة. حيث أكد أولا على الطبيعة الصوتية

1 ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2005، ص36، 37.
2 محمد فوزي حمزة: دواوين الشعراء العشرة (ديوان زهير بن أبي سلمى المزني)، ص129.
3 الفارابي: إحصاء العلوم، ص9، 10.
4 الخصائص1/ 33.

للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضا أنها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم.

ويقول ابن سنان الخفاجي: "اللغة عبارة عما يتفق عليه القوم من الكلام."[1]

ويعرف ابن خلدون اللغة بقوله: "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعلٌ لسانيٌّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملَكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كلِّ أمة بحسب اصطلاحاتهم"[2].

كما استعمل –ابن خلدون– مصطلح اللسان عنوانا لفصل في مقدمته وأدرج تحت هذا العنوان (علوم اللسان العربي) مجموعة من العلوم المتصلة بالظاهرة اللغوية مثل: علم النحو، علم اللغة، علم البيان...

نلاحظ أن اللغويين القدامى اعتمدوا في تعريفهم اللغة المسائل اللغوية التالية:

. اللغة **أصوات**: وتتكون من كلمات أو من وحدات صوتية منفصلة، وتحتوي على المعاني **وتختلف** من مجتمع إلى آخر، وهي فعل **قصدي وملكة** لسانية **وميزة** إنسانية **مكتسبة**.

. تعريف الألسنيين المحدثين اللغة:

شكّل الاهتمام بطبيعة اللغة الإنسانية ظاهرة رافقت القرن العشرين بصورة خاصة؛ ذلك أن القرن العشرين شهد اندفاع اللسانيات كعلم يحتوي على مصطلحات ومفاهيم واضحة ودقيقة، ولم ينحصر خلاله الاهتمام باللغة بالألسنيين فحسب، بل تعداهم ليشمل الفلاسفة وعلماء السيكولوجيا والسيسيولوجيا والمنطق الرياضي.

1 ابن سنان الخفاجي(أبو محمد عبد الله بن محمد، ت466هـ): سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص48.

2 ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 2/ 295.

ويعدّ فرديناند دي سوسير أوّل من أرسى دعائم علمية ثابتة لعلم اللسان؛ حينما أشار إلى أن الألسنة تتوسل بصورة أساسية دراسة اللغة كواقع قائم بذاته، والالتزام بأولوية دراسة وضعها الحالي ليس تاريخها.

ومن المسائل اللغوية الواردة في تعريف اللغة عند الألسنيين:

. اللغة أصوات (بلومفيلد)

. اللغة كلمات وضعت لمعنى(دي سوسير)

. اللغة مجموعة لا متناهية من الجمل (تشوفسكي)

. اللغة وسيلة التعبير والتواصل (سابير ومارتيني)

. تختلف اللغات من مجتمع إلى آخر (بلومفيلد، مارتيني)

وللباحثين المحْدَثين تعريفات مختلفة للغة[1] تتفق على الطبيعة الصوتية للغة، والوظيفة الاجتماعية لها، وتنوع البنية اللغوية من مجتمع إنساني إلى آخر[2].

ويعرف سابير "Sapir"؛ (ت"1921) اللغة بقوله: "اللغة طريقة إنسانية بحتة غير غريزية لتواصل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجا إراديا"[3].

كما ورد عند (هاله "Hall") في كتابه: "Essay on Language" التعريف الآتي: "اللغة نمط اجتماعي منظم يتواصل بها البشر ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بواسطة الرموز الاعتباطية المسموعة – المنطوقة المعتاد استخدامها"[4].

ويرى رمضان عبد التواب أن "علم اللغة، هو العلم الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعا له، فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، كما يدرس العلاقات

1L.Bloomfield, Languge, A set of postulates for the science of Language, in Psycholinguistics ed. by Sol Saporta, P. 26-28.

2 ينظر: محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص9.

3 جون ليونز: اللغة وعلم اللغة، ترجمة: مصطفى زكي حسن التوني، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، (د ت)، ص4.

4 نفسه، ص6.

الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة"[1].

مما تقدم نخلص إلى أنه يوجد تطابق بين علم اللسان وعلم اللغة من حيث الاستخدام على الرغم من كثرة المصطلحات المرادفة لمصطلح اللسانيات.

وأشهر تسميات علم اللغة: علم اللسان، اللسانيات، الألسنيات، اللِسْنِيَّات، للدلالة على نفس المجالات"[2].

1 رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ – 1997م، ص7.

2 محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، دار غريب، (د ت)، ص47.

المحاضرة الثانية: بين اللغة واللسانيات وفقه اللغة

أولا: اللغة

تعريف اللغة: اللغة من الأسماء الناقصة، وأصلها لُغوة على وزن فُعلة بضم الفاء وسكون العين، من لغا، يلغو، لغوا تكلم أو من يلغي، لغيا، يلغي: بمعنى لهج. قال ابن جني: "وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من لغوت؛ أي تكلمت؛ وأصلها لغوة ككرة وقُلَة، وثُبَة، كلها لاماتها واوات؛ لقولهم... وقيل منها لغِي يلغَى إذا هذى"[1].

ويطلق كل من اللفظين اللغو، اللغا: على معاني أخرى لها صلة بالنطق والأصوات.[2]

نستنتج مما سبق أن اللغة تدور حول معنى الأصوات الإنسانية وغيرها، وما يشبهها من معانٍ مختلفة، وعلى هذا فإن علم اللغة أو فقه اللغة يعنى به فهم الأصوات مفردة ومركبة وإدراك خصائصها.

ثانيا: اللسانيات والفيلولوجيا عند الغربيين

أ. مدلول علم اللغة والموازنة بينه وبين فقه اللغة

لم يفرّق علماؤنا القدامي بين مصطلحي: علم اللغة وفقه اللغة؛ فهما عندهم بمعنى واحد داخل أساسا في علوم اللغة العربية، ولكنهما يختلفان عن مصطلحات العلوم العربية الأخرى من نحو وصرف وبلاغة وأدب بمعناها التعليمي.

وقد أطلقوا (علم اللغة وفقه اللغة على متن اللغة أو جمع ألفاظ اللغة وشرحها على نحو ما هو معروف في المعاجم اللغوية، كما أطلقوا كلا منهما على تناول بعض قضايا اللغة العربية كالتعريب ودلالات الألفاظ، كالمشترك اللفظي والمتضاد والمترادف والفصيح،

1 ينظر: ابن جني: الخصائص1/ 33.

2 ينظر: ابن منظور: لسان العرب، (ل غ و).

وعلى غرار ما ورد في كتابي فقه اللغة للثعالبي، والمزهر للسيوطي، وهم مع ذلك كانوا يؤمنون بأن هذه الدراسات تختلف عما يسمى بـ: علم النحو المتعارف عليه.

ب- موقف العلماء المحدثين من المصطلحين

استقل علم اللغة عن فقه اللغة فأصبح لكل منهما مجاله الخاص به، لكن الصلة بينهما وثيقة؛ فعلم اللغة يتناول ظواهر اللغة جميعا، ويستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تميز اللغات جميعا. وأما فقه اللغة فمجاله دراسة إحدى اللغات؛ كالعربية، أو الإنجليزية، أو طائفة متشابهة كالطائفة السامية أو الحامية أو الهندية، الأوربية لبيان خصائصها وتاريخها وتطورها وتفاعلها مع الفكر ومع البشر ومع غيرها من اللغات.

وعلم اللغة يضع قوانينه بالاستعانة بالبحث اللغوي في كل لغة على حدة، أو مجموعة متشابهة من اللغات الأخرى ووضع القواعد العامة على أساسها.

وبناء على ذلك يمكننا القول بأنّ فقه اللغة وعلم اللغة ميدانان مختلف أحدهما عن الآخر، وإن تداخلا أحيانا واستعان كل منهما بالآخر[1].

أطلق المؤلفون العرب على الاشتغال بالمفردات اللغوية جمعًا وتأليفًا عدة مصطلحات أقدمها مصطلح "اللغة"؛ فقد وصف أبو الطيب اللغوي (ت351هـ)، أبا زيد الأصمعي وأبا عبيدة، وقارنهم من جانب معرفتهم باللغة. كان أبو زيد أحفظ الناس للغة، وكان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها.[2].. "والمقصود هنا بكلمة اللغة مجموع المفردات ومعرفة دلالاتها. وبهذا المعنى كانت كتب الطبقات تميز بين المشتغلين بالنحو أو العربية من جانب والمشتغلين باللغة من الجانب الآخر. لذا عدّ سيبويه والمبرد من النحاة، بينما عد الأصمعي وأقرانه من

1 ينظر: حسن ظاظا: اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1990، ص14، 15.

2 ينظر: أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ، حققه وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د ت)، ص41.

اللغويين. وقد ظل استخدام كلمة اللغة بهذا المعنى عدة قرون، وأصبح اللغوي هو الباحث في المفردات جمعًا وتصنيفًا وتأليفًا"[1]

وظهر مصطلح فقه اللغة في القرن الرابع الهجري، يقول محمود فهمي حجازي: "وهناك مصطلح ظهر في القرن الرابع الهجري عند اللغوي العربي ابن فارس (ت395هـ)، وأخذه عنه الثعالبي (ت429هـ). لقد أطلق ابن فارس على أحد كتبه "الصاحبي في فقه اللغة"، وبذلك ظهر مصطلح فقه اللغة لأول مرة في التراث العربي عنوانًا لكتاب، وتسمية لفرع من فروع المعرفة. ولم ينتشر هذا المصطلح إلا بقدر محدود، وأشهر من استخدمه بعد ابن فارس– لغوي أديب هو الثعالبي، فقد سمى كتابه (فقه اللغة وسر العربية). يتفق كتابا ابن فارس والثعالبي في معالجتهما لقضايا الألفاظ العربية"[2].

الفيلولوجيا (Philologie):

اعتبر علماء ومفكرو النهضة الأوربية الحديثة أنفسهم الورثة الشرعيين للحضارتين اليونانية والرومانية؛ فاتجهوا إلى إحياء اللغتين اليونانية واللاتينية من خلال شرح نصوصهما ونقدها نقدا لغويا، وصار هذا النوع من الدراسة يعرف بـ "الفيلولوجيا" وهو العلم الذي يعنى بدراسة النصوص القديمة ونقدها وتحقيقها والتعليق عليها ودراسة كل ما يتعلق بها لغة وأدبا وثقافة؛ لغرض معرفة الحضارات السابقة انطلاقا من الوثائق المكتوبة. فهي علم نقد النصوص القديمة وتحقيقها.

ثالثا: فقه اللغة

فقه اللغة مصطلح عربي أصيل استعمل في القرن الخامس الهجري، وهو لا يدل عند القدماء على ما يدل عليه علم اللسان الحديث؛ والمراد بهذا العلم عند القدماء الدراسة المتعمقة للغة بالمفهوم الضيق؛ أي اللهجات العربية الفصحى فقط ، لا للسان كله.

1 محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص65.

2 نفسه، ص65، 66.

وموضوعه البحث عن الفوارق اللغوية الناجمة عن التعارض بين الوضع والاستعمال، وما يترتب على ذلك من التفريع الدلالي، وتعدّد المعاني وتشعّبها؛ فهي دراسة تتعرض للمفردات خاصة من حيث تنوّع معانيها؛ إما بتنوع تصورات الأشخاص بصفة عامة، وإما بتنوع استعمالها اللهجي أو الاصطلاحي وحتى البلاغي أحيانا؛ ومن هنا ففقه اللغة هو امتداد وفرع للسانيات بالمفهوم الواسع لها.

1- فقه اللغة عند القدامى من علماء الإسلام

هو لفظ يطلق على أحد فروع علم اللغة، وموضوعه الفوارق اللغوية التي تنتج عن التفريع الدلالي وتشعبات المعاني، أو بعبارة أخرى التمييز بين الوضع والاستعمال، فيما يرجع إلى المفردات، قال ابن خلدون: "ثمّ لمّا كانت العرب تضع الشّيء على العموم ثمّ تستعمل في الأمور الخاصّة ألفاظا أخرى خاصّة بها فرَّق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الناس إلى فقه في اللّغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العامّ لكلّ ما فيه بياض، ثمّ اختصّ ما فيه بياض من الخيل بالأشهب، ومن الإنسان بالأزهر، ومن الغنم بالأملح حتّى صار استعمال الأبيض في هذه كلّها لحنا وخروجا عن لسان العرب"[1].

وألف في هذا الفن أحمد بن فارس كتابه: (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها)، جاء فيه قوله: "إن لعلم العرب أصلا وفرعا؛ أما الأصل فمعرفة الأسماء والصفات؛ كقولنا رجل وفرس وطويل وقصير، وهذا هو الذي يبدأ به عند التعلم، وأما الفرع فالقول على موضوع اللغة، وأوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب، في مخاطباتها من الافتنان تحقيقا ومجازا.»[2] أي من التنوع وتشعب استعمالاتها، وهذا هو مفهوم فقه اللغة عنده. ويظهر من

1 ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ت 808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م، 1/ 758.

2 أحمد بن فارس (أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ت395هـ): الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص11.

هذا أن فقه اللغة يهتم بالبحث النظري، فهو يعالج أيضا كفرع لعلم اللغة، ظاهرة الترادف والاشتراك والمولد والدخيل، وغير ذلك...

2- فقه اللغة عند الغربيين من معاصرين ومن تبعهم من الدارسين العرب

فقه اللغة هو ترجمة لهذين المفهومين المتقاربين:

أ- الفيلولوجيا: Philologie عند قدماء الغربيين (اليونانيين وكل من تأثر بأدبهم من الأوربيين)، هي الدراسة اللغوية للنصوص القديمة؛ لإدراك فحواها ومغزاها.

ب- الدراسة اللغوية التاريخية وعلم اللغة المقارن أو النحو المقارن؛ بغية إثبات المراحل المتطورة التي تمر عليها اللغة، باستعمال المناهج المقارنة التاريخية ويسميه بعض الأوربيين إما historique Linguistiqu أو comparative Linguistique وإما comparè Linguistique أو historique grammaire وإما compare philology.

المحاضرة الثالثة: اللسانيات: خصائصها وأهدافها وأقسامها

الدراسات اللغوية الهندية التي وصفت اللغة السنسكريتية هي أول تراث إنساني وصل إلينا يقوم بعملية وصف اللغة بطريقة علمية. ومنذ تلك الحقبة بدأت الأعمال التي تهتم بدراسة اللغة تظهر في مجتمعات متعددة منها اللاتينيين والرومان والعرب، وقد اختصت كل أمة بدراسة موضوع علم اللغة بمنهج معيّن. حتى بداية القرن الثامن عشر. ومنذ مطلع هذا القرن تميزت دراسة الظواهر اللغوية بميزتين:

1- توجيه موضوع الدراسة اللغوية نحو أغراض سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية.

2- الاهتمام بمنهج دراسة الظواهر اللغوية.

وأهم المناهج التي ظهرت المنهج التاريخي وهو الدراسة التطورية للوحدات المعجمية أو الفيلولوجيا المقارنة التي كانت الأساس الذي انطلقت منه الدراسات اللسانية في بداية القرن العشرين.

وكانت الخلفية الأبستمولوجية لهذه الدراسات هي المعيارية المنطقية التي لم تخرج عن أساس العلاقات العامة في المنطق الصوري.

وليس ببعيد عن هذه الفترة بدأت تظهر بوادر الدراسات اللغوية بمفهومها الحديث في مناطق متعددة من العالم، كما ظهرت تطبيقات تجريبية على الظواهر اللغوية التي لها صلة بالفيزياء أو علم التشريح أو المنطق.

أولا: بدايات ظهور المصطلح

تقدّم معنا أنّ مصطلح Linguistique استُعمل أول مرّة في ألمانيا، ثم في فرنسا سنة 1826، واستعمله (فرنسوا رينيوار François Raynouard) سنة 1816 في كتابه

(des troubadour chois des boésie) وفي إنجلترا ابتداء من 1855، واستخدمه (سوسور) بشكل علمي في محاضراته. وفي الجزائر استعمل مصطلح (لسانيات) أول مرة عبد الرحمن الحاج صالح في مجلة اللسانيات سنة 1971.

والمقصود باللسانيات أو Linguistique العلم الذي موضوعه اللغة شرط اتباع المناهج العلمية التجريبية، أو المنطقية التجريبية في دراسة ظواهره.

أما مصطلح علم اللسان في الثقافة اللغوية الحديثة فهو الدراسة العلمية للغة، ويقصد بالعلمية هنا دراسة اللغة بواسطة وسائل الفحص، وملاحظة الظواهر اللغوية وإمكانية مراقبتها بوسائل المنهج التجريبي.

وترجع بداية اللسانيات عامة إلى القرن الثامن عشر حين اكتشفت اللغة السنسكريتية عام1786، واتخذت أساسا للمقارنة العلمية واكتشاف شجرة اللغات الهندية الأوربية، وبروز المنهج المقارن على يد (بوب) و(شليجل) وغيرهما من علماء اللغة نحو 1816م. وكان من نتيجة ذلك تصنيف اللغات في العالم وكشف صلات التشابه والقربى بينها، وتحديد الفروع التي تنحدر من الأسر اللغوية تحديدا علميا موثوقًا بعيدا عن التعصب أو التخمين. ثم ظهر بعد ذلك المنهج التاريخي نحو 1876م الذي اهتم ببناء تاريخ علمي مفصّل لكل لغة، وبيان أثر الزمان في تطور اللغات وتغير أنظمتها الصوتية والدلالية والنحوية دون تفضيل للغة على لغة أيا كانت. لكن منهجا آخر سرعان ما ظهر نحو مطلع القرن العشرين هو المنهج الوصفي، الذي عني بدراسة الظواهر اللغوية في فترة زمنية محددة، وبالوصف العلمي البعيد عن الأحكام المسبقة، أو معايير الخطأ والصواب. وكان الهدف من هذا المنهج تسليطَ الضوء على مرحلة معينة من مراحل اللغة المدروسة لعزل الأثر الزماني، وكشف العلاقات الداخلية بين العناصر المدروسة، وتحديد وظائفها وتعيين سماتها وخصائصها، دون الاهتمام بقضية التطور أو التدرج التاريخي.

وظهر عند منتصف القرن العشرين منهج جديد هو المنهج التقابلي (contrastive) الذي يرصُد علاقات التباين والمخالفة بين لغة وأخرى لا تنتميان إلى أسرة واحدة، لبيان عناصر الاختلاف لدارسي (اللّغات الأجنبية).

إنّ اللغات العالمية تتقاسمها مجموعة من العناصر، عناصر تشابه واتفاق وقرابة يهتم بها المنهج المقارن، وعناصر تخالف واغتراب يهتم بها المنهج التقابلي، إذ لولا هذه العناصر لكانت اللغات لغة واحدة، ولولا تلك العناصر من التشابه لكانت كلّ لغة من لغات البشر تختلف عن الأخرى.

ولابد من التنبيه على أنّ أبرز أعلام اللسانيات هو السويسري (فرديناند دوسوسير) صاحب كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي ضم أبرز مبادئ اللسانيات الحديثة، وعرض فيه مجموعة من الثنائيات كاللسان والكلام، واللغة واللسان، والدال والمدلول، والتزامن والتعاقب في الدرس، والاستبدال/ الاختيار والنظم/ التركيب، في المحور الشاقولي والمحور الأفقي، أي الفرق بين المجموعات اللغوية الحاضرة في السياق والمجموعات اللغوية الغائبة عنه والتي تمثّل الرصيد اللساني للمجتمع، وغير ذلك من الثنائيات. وقد أوحى دوسوسير لمن أخذ عنه أو قرأ محاضراته التي دونت بعد وفاته بكثير من الأفكار الرائدة كالبنيوية والسيمياء والجغرافية اللغوية والمنهج الوصفي واعتباطية الدال، ونحو ذلك.

ثانيا: موضوع الدراسة في اللّسانيات

تهتمّ اللسانيات باللسان باعتباره نشاطا حيويا هاما وخاصية إنسانية فريدة. كما تبحث اللسانيات في الخصائص الذاتية المميزة للألسنة البشرية، ولماذا تعمل اللغة بهذه الطريقة الخاصة بها؟ وتبحث في آليات وكيفيات تطورها، وما هي نقاط التقاطع بين مختلف الألسنة البشرية؟ وتبحث كذلك في سر اختلاف الألسنة البشرية، ووصف وتحديد مصادر

هذا الاختلاف. وهكذا تسعى اللسانيات إلى بناء نظريات عامة لوصف الوقائع اللسانية وتفسيرها بعيدا عن كل الاعتبارات الخارجة عن نطاق اللغة البشرية.

واللسانيات علم تجريبي مؤسس على الملاحظة والتجريب، ويكون هدفه الأساس تكوين نظام قواعدي موجه إلى تفسير الظاهرة اللغوية بكل أبعادها الفيزيولوجية والفيزيائية والنفسية والاجتماعية... ولذا فاللسانيات مجال بحثي ومعرفي متعدد لم تعد شيئا واحدا، ولا مفهوما واحدا، ومذهبا واحدا، أو مدرسة واحدة، ولا تلتزم بمنهج محدد.

ثالثا: منهاجها وأهدافها

تتميز اللسانيات عن علوم اللغة عند الغربيين قبل القرن التاسع عشر بجملة من الخصائص والمميزات حصرها (جون ليونز J. Lyons) فيما يأتي:

1. تتصف اللسانيات بالاستقلالية الابستيمولوجية عن الفلسفة والمنطق؛ وهذه الصفة تؤكد علميتها في حين أن النحو التقليدي (grammaire) كان عند الغرب يتصل في بعض أصوله بالفلسفة والمنطق.

2. تهتم اللسانيات باللغة المنطوقة قبل المكتوبة خلافا لعلوم اللغة التقليدية التي كانت على العكس من ذلك.

3. تعنى اللسانيات باللّهجات ولا تفضل الفصحى عليها على غرار ما كان سائدا.

4. تسعى اللسانيات إلى إنشاء نظرية لسانية تتصف بالشمولية، يمكن على أساسها دراسة مختلف اللغات ووصفها.

5. لا تعير اللسانيات أي اهتمام بالفروق بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة؛ لأنها تعدّها جميعها جديرة بالدراسة والبحث دونما تمييز أو انحياز مسبق.

6. تدرس اللسانيات اللغة ككل متكامل وذلك ضمن تسلسل متدرج من المستوى الصوتي إلى المستوى الدلالي مرورا بالمستويين الصرفي والنحوي[1]

وتعتمد اللسانيات في دراسة اللغة على ثلاثة معايير علمية هي:

أ- **الشمولية:** ومعناها دراسة كل ما يتعلق بالظاهرة اللسانية دونما نقص أو تقصير.

ب- **الانسجام:** ويقصد به عدم وجود أي تناقض أو تنافر بين الأجزاء المدروسة.

ج- **الاقتصاد:** ويراد به دراسة الظواهر اللغوية بأسلوب موجز ومركز مع التحليل الدقيق والميداني.[2]

أهداف البحث اللساني: من الأهداف التي تسعى الدراسة اللسانية إلى تحقيقها:

1 . تسعى اللسانيات إلى معرفة أسرار اللسان من حيث هو ظاهرة إنسانية عامة في الوجود البشري.

2 . الكشف عن القوانين الضمنية التي تتحكم في البنية الجوهرية للغة.

3- محاولة التوصل إلى معرفة الخصائص الصوتية والصرفية والتركيبية لكل لسان من أجل وضع قواعد كلية تشترك فيها كل اللغات.

4- اكتشاف الخصائص العلمية التلفظية، وحصر العوائق العضوية والنفسية والاجتماعية التي تحول دون عملية التواصل اللغوي.

رابعا: أقسام اللسانيات العامة وفروعها

قسم علماء اللسان الدراسة اللغوية إلى ثلاثة أقسام، هي كما يلي:

1.اللسانيات التاريخية: هي دراسة الظاهرة اللغوية عبر المراحل الزمنية المختلفة مع تبيان أسباب التغيرات التي تطرأ عليها[3]

---

1 ينظر: فرديناند دي سوسير. محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ط1، 1986، ص17.

2 ينظر: زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص7.

3 ينظر: نفسه، ص7.

2.اللسانيات المقارنة: هي دراسة صلات القرابة بين اللغات والمقارنة لإيجاد القواسم المشتركة بينها، أو للتمكن من الوصول إلى اللغة الأم أو الأصلية التي انحدرت منها هذه اللغات.

3.اللسانيات الوصفية: وهي أهم قسم في الدراسات اللسانية؛ ذلك لأنها تختص بدراسة اللغة، وتحليل وظيفتها وكذلك استعمال هذه اللغة من قبل الجماعة اللغوية في حيز زمني معين:

- في الحاضر حين يتعلق الأمر باللغات التي تركز بالدرجة الأولى على النطق.
- وفي الماضي حين يتعلق الأمر باللغات المكتوبة سواء أكانت ميتة أو حية.

فروع اللسانيات:

يكاد يجمع المهتمون بالدراسات اللسانية على أن علم اللسانيات (Linguistique) علم يشمل كل الظواهر المتعلقة باللغة وما يتصل بها من العلوم الأخرى بمختلف تخصصاتها، وتتفرع العلوم الداخلية للسانيات إلى فرعين كبيرين[1] هما:

1. اللسانيات النظرية (Linguistique théorique): تسعى إلى بناء وتكوين نظرية عامة لوصف وتفسير اللغة البشرية وتضم علم الصوت وعلم الصرف وعلم النحو وعلم الدلالة وعلم المعاجم. وبدورها تنقسم إلى قسمين:

أ- اللسانيات العامة: وتسعى إلى تأسيس نظريات عامة لجميع الألسنة البشرية.

بـ - اللسانيات الخاصة: وتعنى بدراسة لغة واحدة؛ فنقول لسانيات عربية ولسانيات فرنسية...

1 ينظر: أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص26، وأحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص16.

2. اللسانيات التطبيقية (Linguistique appliquée): هدفها تطبيق النتائج المتوصل إليها في الدراسة العلمية للغة في ميادين علمية مختلفة، وتضم تعليمية اللغات، وصناعة المعاجم والترجمة، وعلم أمراض الكلام، ومختبرات اللغات، والتخطيط اللغوي ومناهج تعليم اللغات وغيرها.

فروع أخرى للسانيات: يندرج ضمن البحث اللساني كل دراسة لأية ظاهرة لغوية وما يتصل بها من ظواهر أخرى تدرسها العلوم المختلفة؛ كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والاتصال، والإعلام، وغيرها من العلوم التي تتناول ظاهرة اللغة والكلام لدى البشر، ومن أهم هذه الفروع:

- **اللسانيات الاجتماعية** (Socio linguistique): ويدرس هذا الفرع العلاقة الموجودة بين اللغة ومحيطها الاجتماعي والثقافي، وينظر في أبعاد هذه العلاقة وأشكالها المختلفة التي تظهر في تعدد المستويات اللغوية في المجتمع الواحد، أو تعدد اللغات واللهجات وتحديد الجماعات التي تستخدمها سواء أكانت هذه الجماعات عرقية أو دينية أو مهنية، كما تهتم بقضية التخطيط اللغوي...

- **اللسانيات النفسية** (Psycho linguistique): يهتم هذا الفرع بدراسة المهارات والعمليات العقلية التي تقوم عليها عمليتا فهم اللغة وإنتاجها. ومن أهم الظواهر التي تدرسها اللسانيات النفسية، ظاهرة اكتساب اللغة وتعلمها، والصعوبات التي تواجه الصغار والكبار في تعلم اللغة الأم، أمراض الكلام مثل: الحبسة، صعوبة القراءة وتأخر الكلام...

- **اللسانيات العصبية** (Neuro linguistique): تتقاطع مع اللسانيات النفسية، وغايتها وصف وتفسير الأسس العصبية للغة والكلام، ومن ثم وصف العمليات المرتبطة باستعمال اللغة والمشكلات التي تواجه مستعمل اللغة (صغيرا أو كبيرا) والتي تعرف بأمراض الكلام.

- **اللسانيات الأجناسية** (Ethno linguistique): تدرس الدور الذي تؤديه اللغة في ثقافة المجتمع كما تدرس اللغة في إطار ثقافي اجتماعي كدراسة الطريقة التي يتواصل ويتفاهم بها الناس في مجتمع معين وكيف تؤثر العلاقات الاجتماعية بين الناس على نوع اللغة المستعملة؟

خامسا: مستويات الدراسة اللسانية

تنظر اللسانيات إلى اللغة على أنها مجموعة من الأنظمة تتكامل فيما بينها، ولا يمكن أن نفصل نظاما عن آخر أثناء التأدية الفعلية للكلام، لكن هذا لا يمنع من دراسة كل نظام على حدة، و بناء على ذلك تم تقسيم الدراسة اللسانية إلى ثلاثة مستويات هي كالتالي:

1.**المستوى الصوتي:** ويتفرع إلى فرعين هما:

أ- **علم الأصوات العام:** يدرس الجانب الفيزيولوجي والفيزيائي للأصوات اللغوية.

ب- **علم الأصوات الوظيفي:** ويعنى بدراسة الأصوات اللغوية أثناء التأدية الفعلية للكلام، أو بعبارة أخرى يدرس الأصوات باعتبارها عناصر وظيفية.

2.**المستوى الصرفي:** يتناول بالدراسة البنى التي تمثلها الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تحمل دلالات ومعاني صرفية أو نحوية. ويطلق الدارسون المحدثون على هذا النوع من الدراسة مصطلح المورفولوجيا (Morphologie) ويعنون به دراسة الوحدات الصرفية أو المورفيمات (Morphèmes) دون التطرق إلى المسائل المتعلقة بالتراكيب.

3. **المستوى التركيبي أو النحوي:** يهتم بدراسة العلائق الوظيفية للبنى التركيبية المحورية للسان ما.

4.**المستوى الدلالي:** يهتم هذا المستوى بدراسة المعاني اللغوية للمفردات والتراكيب، وإن كان المفهوم السائد للدراسة الدلالية هو اقتصارها على المفردات وما يتعلق بها.

المحاضرة الرابعة: الدراسات اللغوية عند الأمم القديمة

كانت اللغة من أهمّ اهتمامات الحضارات القديمة، وكان رقي الدّراسات اللغوية مؤشّرا على ترقي الفكر الإنساني في هذا المجتمع، وكانت الكتابة هي المعبر المادي عن اللغة وناقل فكر الشعوب، يقول السعران: "إن اختراع الكتابة، التي تمثل الكلام بأي صورة من الصور، يعتبر نوعا هاما من أنواع النظر في اللغة، وهذا الاختراع حدث هام في تاريخ البشرية".[1]

ولعلّ أول الأسباب الدافعة إلى الاهتمام باللغة حرص الشعوب على تدوين تاريخها، ولفهم المدوّنة الموروثة عن الأسلاف، شرحا وتطويرا لوسيلة الكتابة، أو رسم الحروف، على أنّ هذه المدونة قد تكون مقدسة، فَيكتسب الاهتمام باللغة شرفا دينيا ورفعة أخلاقية واجتماعية، كما حدث مع الهنود ونصوص الفيدا السنسكريتية، ومع المسلمين والقرآن الكريم واللغة العربية، أو يكون الاهتمام لأغراض تشريعية، كما كان الأمر مع البابليين والكتابة المسمارية، أو تجاريا مع الفينيقيين والسريانية، أو يكون الغرض فلسفيا أو شعائريا كما حدث مع اليونان والإغريق، ونصوص فلاسفتهم وإلياذتهم الشهيرة.

أولا: الدراسات اللغوية عند الهنود

اهتم الهنود القدامى بلغتهم "السنسكريتية" التي كُتب بها كتابهم المقدس المسمى (فيدا)، وذلك في مرحلة متقدمة ترجع إلى ما بين القرنين الثاني عشر والعاشر قبل الميلاد. وأشهر علمائهم (بانيني)، الذي عاش في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد[2] والذي كان أبرز العلماء الذين درسوا قواعد هذه اللغة، التي سجلت في كتاب يعرف بـ(الكتب الثمانية). ويقال: إنّ هذا الكتاب هو نفسه (الفيدا)، وهذا يدل على عناية الهنود بالدراسات اللغوية قبل منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد. يقول (جورج مونان) في هذا الشأن: "الأمر الذي يدهشنا

1 محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997، ص257.

2 ينظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص57.

في القواعد الهندية أنَّها قامت بالتحليل اللغوي الثاني، وكان الهنود يعنون عناية قصوى باختيار اللفظ الصحيح للعبارات الدقيقة، مما أدى بهم إلى تدوين أول وصف للأصوات اللغوية."[1]

تعتبر دراسة اللغة لدى الهنود أقدم الدراسات التي عرفها الإنسان وجاءت هذه الدراسة دقيقة جدا ويرى (جورج مونان) –أحد اللسانيين البارزين في هذا العصر– أن الأبحاث اللسانية نشأت في القرن الخامس قبل الميلاد، تاريخِ ظهور الأبحاث اللسانية أول مرة في الهند، وأُثرت عنهم دراسات في الأصوات والقواعد وقوائم المفردات وبعض جوانب الدلالة، والبنية. ويعدّ "بانيني"، أشهر النحاة الهنود. يقول مختار عمر: "ظهرت في الهند القديمة دراسات للغة السنسكريتية "لغة الهند الكلاسيكية" على مستوى عال من التنظيم والدقة... وقد أثرت عن الهنود دراسات في فروع علم اللغة المختلفة تتناول الأصوات والاشتقاق والنحو والمعاجم، كما تتناول كثيرًا من مشكلات فقه اللغة، ويرجع أقدم هذه الدراسات إلى فترة مجهولة لنا، أما أقدم ما وصلنا منها فيرجع إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد».[2] ويعد المنهج الذي وضعه Panini للنحو السنسكريتي في "300 ق م"، غاية في الدقة والإيجاز على ما يحويه من إشارات إلى أعمال سابقة.[3]

ويقول (ألن): "إن الاتصال بين الهنود القدماء والمدارس الغربية الحديثة في دراسة اللغة أشد وأوثق في مجال الأصوات عنه في مجال النحو. ويعترف العلامة فيرث الإنجليزي بأن المدرسة الأصواتية الإنجليزية لم تنشأ في القرن التاسع عشر إلا على أكتاف المعلومات التي قدمها وليم جونز عن النحاة والأصواتيين الهنود."[4]ومن كتابات الهنود الصوتية:

---

[1] جورج مونان: علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة، دمشق، (د ت)، ص65.

2 أحمد مختار عبد الحميد عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8، 2003، ص58.

3 ينظر: ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1419 هـ – 1998م، ص225، 226.

4 أحمد مختار عبد الحميد عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص59.

Rikvedapraticakhya ف atharva – vedapraticakya ف vedapraticakya ف praticakhya وقد ترجم هذه الدراسات إلى الإنجليزية اللغوي الأمريكي (و. ج هويتني)[1]

وقد وصف الهنود لغتهم في مستوياتها المختلفة: الصوتية والنحوية؛ **فعلى المستوى الصوتي:** صنف الهنود أصوات لغتهم وفق مخارجها وصفاتها، ولاحظوا دور الوترين الصوتيين في تصنيفها إلى مجهورة ومهموسة.

وأما على المستوى النحوي فإن النحو الهندي يختلف عن النحو اليوناني في عدم اعتماد بنائه على أسس من المنطق، فهو قد حاول أن يدرس اللغة السنسكريتية دراسة وصفية في ذاتها ومن أجل ذاتها، وهنا وافق ما وصلت إليه اللسانيات الحديثة.

كما صنف الهنود قديمًا الكلمة إلى ثلاثة أصناف: اسم، وفعل، وحرف. وصنفوا كذلك الأفعال وفق الزمن إلى أفعال ماضية، وحاضرة، ومستقبلة. كما صنفوا الأسماء وفق العدد إلى: مفرد، ومثنى، وجمع.

لقد كان تأثير الدراسات اللغوية للهنود كبيرا على الدراسات الغربية حين اكتشفوا في القرون المتأخرة اللغةَ السنسكريتية، وأفادوا من تلك الدراسات التي سجّلها علماءُ الهنود في دراسة لغتهم.

ثانيا: الدراسات اللغوية عند الفينيقيين

قيل إنّ الفينيقيين هم الذين اخترعوا الأبجدية، يقول الفيلولوجي الفرنسي (أنطوان مييه A.Meillet 1936م): "إن الذين اخترعوا الكتابة وحسنوها هم في الحقيقة من أكبر اللغويين، بل هم الذين ابتدعوا علم اللسان."[2] ومن الباحثين من اعتبر الفينيقيين أول علماء اللسانيات؛ فقد أسهموا في اكتشاف الحرف وكتبوا الكلمة والجملة.

1 ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص79.

2 عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص52.

ثالثا: الدراسات اللغوية عند اليونان

من القضايا اللغوية التي أثارت انتباه علماء اليونان وبخاصة الفلاسفة من أمثال أفلاطون، قضية "نشأة اللغة" فرآها **أفلاطون** وأتباعه **إلهاما** من الله، في حين رآها **(أرسطو)** وأتباعه **اصطلاحا** من البشر ومواضعةً، ورغم عظمة التراث الحضاري الإغريقي وسعته إلا أننا لا نجد قسطا وفيرا للدراسة اللغوية عدا تلك الآراء الفلسفية التي جاءت في بعض المناقشات بين الفلاسفة الإغريق حول نشأة اللغة.

أخذ اليونانيون من الفينيقيين الكتابة الهجائية، وعلى الرغم من اختلاف لغتهم عن الفينيقية في الصوامت والصوائت، فقد كيفوها بما يناسب لغتهم، وقد توصلوا إلى أنّ الصامت لا يمكن النطق به إلا مع صائت أو مصوت، وعندهم المجموعة المكونة من الصوامت والصوائت تسمى مقطعا، وقالوا أن الصائت يمكن النطق به وحده، فيكون بذلك بمنزلة مقطع واحد، أما بعد ظهور الفلسفة اليونانية، فقد اتخذت الدراسات اليونانية –على ما لقيت من انتقادات– منهجا جديدا حيث عولجت موضوعات مثل: هل اللغة توقيف ووحي أم تواضع واصطلاح؟ وهل الألفاظ موضوعة على نظام محكم وخاضعة لقوانين معقولة؟ وغيرها.

ومن الباحثين من يرى أنّ النحو الإغريقي لم يرق إلى المنهج العلمي الموضوعي لتأثره بالفلسفة والمنطق وتوجيههما له، يقول **(ماريو باي)**: "ولعل السبب الوحيد الذي أدى إلى تخلف النحو الإغريقي وعدم إحكام قواعده أنّ النحاة الإغريق كانوا مرتبطين بأسس ومبادئ منطقية وفلسفية كثيرا ما اعترضت طريقهم نحو الملاحظة العلمية، وقادتهم إلى استعمال المنهج الاستدلالي الاستقرائي."[1]

1 أسس علم اللغة، ص227.

نشير هنا إلى أن قدماء اليونان لم يدرسوا سوى لغتهم، ولكنهم سلموا بأن "بنية" لغتهم تجسم الصور العامة للتفكير الإنساني، والصفة الغالبة على النحو اليوناني هي الكشف عن قواعد تميز صواب الكلام من خطئه؛ فالنحو اليوناني نحو تقعيدي تعليمي.كما كان لليونان لهجات ولم تكن لهم لغة موحدة، ومثال ذلك أن "الإلياذة والأوديسا كانتا مكتوبتين بلغة يونانية قديمة كانت غير معروفة وقت كبار النحاة، فكان عليهم أن يدرسوا لغتهما، وأن يقابلوا بين نسخها المختلفة لتقويم نصها، وكان أشهر الباحثين في هذا الميدان **أريستاخوس** (ولد حوالي 216ق. م. ومات سنة 144ق.م)."[1]

كما ساهمت مدرسة الإسكندرية القديمة في حفظ التراث الأدبي اليوناني ومفردات لهجاته "ففي الإسكندرية التي أصبحت مركز الثقافة اليونانية، كثرت الشروح في القرن الثالث قبل الميلاد على أشعار (هوميروس)، وأشعار سواه من الشعراء، واهتم لغويو الإسكندرية كذلك بدراسة "مفردات" النصوص، ومن ذلك جمع الألفاظ الصعبة، أو الكلمات الشعرية، أو الكلمات التي تنتمي إلى لهجات خاصّة".[2] ومن جهودهم في درس لغتهم في المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية:

– **المستوى الصوتي:** قسّم علماء اليونان الأصوات إلى أصوات صامتة وأخرى صائتة، كما لاحظوا بعض الأصوات الصامتة التي تشبه الحركات، ويسميها العلم الحديث بأنْصاف الحركات أو أنصاف الصوائت، مثل: الميم أو النون، أو اللام.

فهم ميزوا بين الصوت الصامت في اليونانية والصوت الصائت في اللغة نفسها، وبين الصوت الذي فيه شبه بهذا أو بتلك.

– **في المستويين الصرفي والنَّحوي:** بذل علماء اليونان جهدًا في دراسة لغتهم، فصنفوا الكلمة إلى ثمانية أصناف، معتمدين في ذلك على معايير لغوية وفلسفية، هذه

1 محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص260.

2 نفسه، ص261.

الأصناف الثمانية هي: الاسم، والفعل، واسما: الفاعل والمفعول، والضمير، وأداة التعريف، والحرف، وأدوات الربط، والظرف. كما قسموا الاسم وِفق العدد إلى: مفرد وجمع، وقسموه وفق الجنس إلى: مذكر ومؤنث، ونوع ثالث هو ما سمَّوه بـ"المحايد"، كما قسموا الفعل وفق الزمن إلى أنواع عدة، وكانت لهم جهود في الكشف عن موقع الكلمة في الجملة.

رابعا: الجهود اللغوية عند الرومان

ورث الرومان الحضارة اليونانية وأخذوا من الدراسات اللغوية اليونانية الشيء الكثير ابتداءً بعالمهم (فارو) في القرن الثاني قبل الميلاد وانتهاءً بعالمهم (برشيان) سنة خمسمائة من الميلاد. وأخضعوا جميع ظواهر لغتهم اللاتينية لقواعد اللغة اليونانية، واستعملوا مصطلحاتها أيضا، وهي المصطلحات التي كانت تُستعمل من عصر (أرسطو) وقد قُدر لها أن تبَقى بسبب جهود الرومانيين، ولا تزال إلى اليوم موجودةً في كتب النحو المدرسية.

لقد "كان الرومان تلامذة لليونان في الدراسات اللغوية... وقد أخذت روما تشارك في الدراسات اللغوية منذ القرن الثاني قبل الميلاد. .... ولم يبلغ الرومان من الدقة في وصفهم لغتهم ما بلغه اليونان في وصف اليونانية، بله ما بلغه الهنود في وصف السنسكريتية....ومن أشهر النحاة الرومان (فارو) من القرن الأول قبل الميلاد، وقد كتب De Lingua Latian "= عن اللغة اللاتينية" و(دوناتوس) من القرن بعد الميلاد، وقد كتب Ars Grammatica "= صناعة النحو"، و(بريسكيان) من القرن السادس بعد الميلاد".[1]

ومن جهود عالمهم (فارو): دمج الأصناف الثمانية التي لاحظها اليونانيون في الكلمة إلى أربعة مجموعات:

1 السابق، ص261.

المجموعة الأولى: الكلمات المعربة، وتضم: الاسم والضمير.

المجموعة الثانية: الكلمات ذات الزمن، وتضم: الأفعال.

المجموعة الثالثة: الكلمات المعربة وذوات الزمن معا، وتضم: اسمي الفاعل والمفعول.

المجموعة الرابعة: فهي الكلمات الخالية من الإعراب والزمن، وتضم: المبنيات.

المحاضرة الخامسة: دراسات العصور الوسطى وعصر النهضة

أولا: الدراسات اللغوية في العصور الوسطى

اهتم الأوربيون بقضية اللغة الأصلية الأولى منذ القرن السابع عشر، فقاموا بمقارنة اللغات فيما بينها لغرض معرفة ذلك والوصول إلى اللغة الأصلية الأولى، وقد جاء هذا المنهج نتيجة اكتشافهم خلال رحلاتهم أقدم لغة عرفها الإنسان في ذلك الوقت وهي اللغة السنسكريتية، ثم اكتشافهم أيضا أوجهًا كثيرة للتشابه بين مختلف اللغات التي عرفوها، فقد وضعوا المنهج الفيلولوجي الذي أضحت غايته دراسة النصوص القديمة لغرض فهمها وفك رموزها. ثم المنهج المقارن الذي عمل على تصنيف اللغات فيما بينها حسب مجموعات متشابهة، فكانت المجموعة الهندية الأوربية والمجموعة السامية الحامية، وكان هذا المنهج يهتم بـ:

- المقارنة من أجل بيان القرابة بين اللغات الهندية الأوربية.
- التتبع التاريخي الدقيق للكلمة والاهتمام بتقنين التطور وتعليله.
- التشبيه بين اللغات والكائنات الحية.

أ- العصور الوسطى في الغرب:

عرفت أوروبا دراسات لغوية في القرون الوسطى، لكنها كانت دراسات معيارية، لا تعترف إلا باللغة اللاتينية، لغة نحوٍ وفنٍ وعلمٍ، ثم بدأت الدراسات تنشط شيئا فشيئا، خاصة بظهور الرَّحالة والمبشرين الذين أرادوا التعرف على اللغات الأجنبية، لخدمة أغراضهم الاستكشافية والدينية، فكانت النواة الأولى للدراسات المقارنة، مع طغيان النظرية القائلة بأن العبرية أصل اللغات، خاصة في القرن الثامن عشر مع (لايبنز).

ولم تشهد العصور الوسطى في أوربا خطوات أصيلة في الدراسات اللغوية، وكان الأمر السائد هو تعليم اللغة اللاتينية، ونُظِمت قواعد النحو اللاتيني شعرا في القرن الثالث عشر، ولم يضف علماء هذه العصور شيئا جديدا إلى القواعد اللاتينية التي وصل إليها القدماء، ولكنهم عرضوها بصورة أكثر إتقانا، وفي أواخر العصور الوسطى تحدد اهتمامهم بدراسة اللغة اليونانية.[1]

ب- العصور الوسطى في الشرق "عند العرب":

نشأت الدراسات اللغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم، وعني المسلمون منذ القرن الأول الهجري بتدقيق الكتابة العربية وضبط الحروف بالشكل صونا لكلام الله عزّ وجلّ عن أن يصيبه التحريف.

وفي هذا الوقت بدأت محاولات وتوالت للكشف عن القواعد التي يسير عليها الكلام العربي، ولوضع هذه القواعد في قوالب تتخذ للتعليم، ويبرز في هذه المحاولات اسم أبي الأسود الدؤلي، ومن وليه من نحاة البصرة والكوفة، إلى أن يأتي الخليل بن أحمد الفراهيدي، وللخليل شأن جليل في كثير من جوانب الدراسات اللغوية.[2] "ثم كان كتاب (سيبويه) أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي، والذي اتخذ أساسا لمن وليه من دراسات نحوية، وقد تعددت مدارس النحو ومذاهبه في البلاد العربية والإسلامية المختلفة وفي العصور المختلفة في العراق ومصر، وشمال إفريقيا، والأندلس، وفارس ... وكثرت المتون النحوية النثرية، والشعرية "كألفية ابن مالك" وظهرت الشروح على هذه المتون، والحواشي على الشروح حتى قيل إنه لم ينضج علم من العلوم العربية كما نضج النحو".[3]

1 ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص262.

2 ينظر: نفسه، ص262، 263.

3 نفسه، ص263.

ومما عني به العرب إضافة إلى النحو[1]:

– "مفردات" الكلام العربي، وكانوا يسمون هذا علم "اللغة" منذ القرن الأول للهجرة؛ حيث جمعوا المفردات الخاصة بموضوع معين، ككتاب الشجر، أو المطر وغيرهما، وجمعوا المفردات الغريبة؛ كغريب القرآن، وغريب الحديث، وجمعوا الأضداد والمترادف والمشترك اللفظي...

– بيان الكلمات الأعجمية الأصل الدخيلة، ونصوا على ما في لغة القرآن الكريم من الأعجمي، ولهم في "المعرّب" تصانيف كثيرة من أشهرها كتاب المعرب لـ(الجواليقي).

– تأليف المعاجم العامة مبكرا (القرن2هـ) والتأليف في مصطلح العلوم والفنون.

– ظهور الدراسات النقدية العربية وأثرها في الكشف عن بعض أسرار الجمال في العبارة العربية.

– وضع تصورات عامة عن "اللغة"، ونشأتها وحياتها، وعن الصلة بين اللفظ ودلالته، وعن "القياس اللغوي" وممن ألفوا في ذلك أبو علي الفارسي، وابن جني، والسيوطي في نقله وتلخيصه آراء علماء آخرين كما في المُزهر.

– اهتمام "علماء الأصول" منذ نشأة التأليف في أصول الفقه بمشكلة المعنى للاستفادة منها في تحديد الأحكام الشرعية.

– الاهتمام بتاريخ الدراسات اللغوية والنحوية فكانت المعاجم والمؤلفات المشهورة في طبقات اللغويين والنحاة وظهور آراء المدارس النحوية والخلاف بينها.

ونشير هنا إلى أنه كان للدراسات النحوية العربية أثر في النحاة العبريين، ومن هؤلاء ابن حيوج لما لها من قيمة علمية.[1]

1السابق، ص264.

ثانيا: دراسات عصر النهضة

اتّسع أفق الدراسات اللغوية في عصر النهضة في أوروبا لعوامل منها: "حركة إحياء التراث اليوناني والروماني، والحركات الوطنية، ورحلات الكشوف الجغرافية التي وصلت الأوروبيين بلغات كثيرة، وحركة التبشير المسيحي التي صحبت الكشوف الجغرافية. وقد نتج عنها قيام البعوث التبشيرية المسيحية بترجمة الكتب المسيحية المقدسة إلى لغات البلاد المكتشفة، ووضع أنحاء ومعاجم لبعض اللغات، وإن كانت هذه الأعمال غير دقيقة."[2]

واهتم الأوروبيون منذ أواخر العصور الوسطى وخلال عصر النهضة بآثار كبار الأدباء اليونان والرومان، ومنذ ذلك الحين بدأ "نقد" النصوص، "وأخذ لغويو أوروبا في دراسة لغات أخرى غير اللغتين الكلاسيكيتين اليونانية واللاتينية، فدرسوا بعض اللغات السامية وخطوطها كالسريانية والعبرية والعربية والحبشية، ومن أشهر المستشرقين في هذا العصر المستشرق الإيطالي ثيسيوس أمبروجيو (1469-1540م)، و(ليونارد أبلا) المالطي (وقد مات في روما سنة 1605م). ثم إن الرحالة العظيم (بيترو دلافالي) (1586-1652) رحل إلى تركيا وسوريا وفلسطين ومصر والعرق، وجلب معه إلى روما عند عودته من رحلاته كثيرا من المخطوطات القبطية، ومعجما قبطيا عربيا، وأنحاء كثيرة."[3] وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر شهد جنوب الهند عناية كبرى باللغات الدرافيدية.[4]

---

1 ينظر: السابق، ص265.

2 محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص265.

3 نفسه، ص266.

4 ينظر: نفسه، ص266.

المحاضرة السادسة: دراسات القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

أولا: القرن الثامن عشر

ابتدع (فردريك أوجست ولف) في سنة 1777 النقد المقارن للنصوص القديمة، وكانت غاية هذا الاتجاه إعادة بناء النصوص الأصلية وتفسيرها؛ أي أن فردريك ولف لم يدرس اللغة لأجل اللغة نفسها، "ولكن لفائدة النصوص، كان يدرس لغة هذا الأديب أو ذاك للكشف عن أسرار عبقريته الأدبية، ولفهمها فهما أسلم، وواضح أن هذه الدراسة كانت قائمة على النصوص المكتوبة، أما اللغة الملفوظة فلم يكن لها دخل في مجال دارسته".[1]

وكان أهم حدث لغوي في القرن الثامن عشر هو كشف سير (وليام جونز) الإنجليزي سنة 1786 اللغة السنسكريتية، والعلاقة بينها وبين اليونانية واللاتينية، ومن بعده انطلق العلماء في مقارنة اللغات الهندية والإيرانية والأوروبية (اللاتينية واليونانية والكلتية والجرمانية).

لقد "كان لهذا الكشف نتائج بالغة الأثر في سير الدراسات اللغوية، وفي النهضة اللغوية الحديثة.... وهكذا أخذ العلماء يتكلمون عن مجموعة اللغات التي سموها عائلة اللغات الهندو – أوروبية. ولكن شيئا أجل من هذا نتج عن كشف اللغة السنسكريتية، وهو اطلاع لغويي أوروبا وأمريكا على التراث الرائع النحوي والصوتي الذي خلفه العلماء الهنود. وقد ترجم جانب كبير من هذا التراث إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية".[2]

ثانيا: القرن التاسع عشر

تميز القرن التاسع عشر بنشاط النظريات التاريخية والفلسفية، فاكتشف المستشرق الإنجليزي (وليام جونز) اللغة السنسكريتية، وطرح احتمال كونها هي وكثير من اللغات

1 محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص268.

2 نفسه، ص268، 269.

الأوربية والآسيوية كالفارسية من أصل واحد، لتنفجر الدراسات المقارنة فيظهر مفهوم المجموعة اللغوية الهندو أوروبية، ويعقبه (شليغل) الذي توصل إلى مفهوم القواعد المقارنة، التي أسسها بعده (بوب)، لتخلص إلى توجيه (يسبرسن) –متأثرا بنظرية النشوء والارتقاء– أن علم اللغة مجرد علم تاريخي، ميدانه الأساس أصول اللغات، وعلاقاتها ببعضها، عرفت هذه الدراسات باللسانيات التاريخية، في شكل بحوث تعنى بتصنيف اللغات وتقنين التغيرات الصوتية.

ليختتم هذا القرن بمحاولة إخضاع الظواهر اللغوية لمناهج البحوث العلمية، بغية الوصول إلى القوانين التي تحكمها، وهو ما عملت على تأكيده مجموعة من الباحثين الألمان عرفوا بالنحاة الجدد، هم (لسكين وأستهوف وبروجمان).

نشير هنا إلى أن للنحاة السنسكريتيين وأعمالهم فضلا كبيرا في النهوض بالدراسات اللسانية الغربية الحديثة، "ويميل أكثر مؤرخي الدراسات اللغوية الحديثة إلى أن أعمال النحاة السنسكريتيين هي التي أوقفت النحاة الغربيين على أقدامهم. ولقد اطلع علماء الغرب على نحو للغة السنسكريتية لا يقوم على أسس من الفلسفة والمنطق كنحو اليونان".[1]

دراسة اللغات الهندو – أوروبية واللغات الرومانية

إن الدراسة الحديثة للغة والنظر إلى طبيعتها بشكل مخالف بدأت في مطلع القرن التاسع عشر. وهي مدينة إلى حد كبير لجهود كانت قبل هذا القرن من عصر النهضة، هيأت لها سبل التقدم.[2]

لقد أخذ علم اللغة الحديث في صورة "نحو تاريخي مقارن"، واستمر على هذه الحال زمانا. الأمر الذي أدى إلى الكشف عن الخصائص الأساسية للغات الرئيسية في العالم، وإلى دراسة لغات كثيرة وإلى الوصول إلى ما بينها من "نسب". والقرن التاسع عشر في تاريخ

1 السابق، ص269.

2 نفسه، ص270.

الدراسات اللغوية هو قرن دراسة اللغات الهندو – أوروبية واللغات الرومانية، وهو قرن النزعة التطورية والعلوم الطبيعية؛ فكان لنظرية (دارون) أثرها في دراسة التغيرات اللغوية على وجه الخصوص بمقارنتها بالتغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي، ولا سيما عالم الحيوان والنبات.[1] كما "كان للغويين الألمان فضل كبير في النهوض بالدراسات الخاصة بالتاريخ اللغوي، والمقارنة اللغوية، والتغير اللغوي، ومن أعلامهم فرانز بوب (1791–1868)... وقد نشر (فرانز بوب) سنة 1816 مؤلفه: "Systim der Konjugation des Sanskrit = نظام التصريف في اللغة السنسكريتية".[2]

وفي سنة 1866 أسست "الجمعية اللغوية الباريسية.[3] وفي سنة 1867 كتب العالم الأمريكي "**ولمي دويت هويتني**" (1827–1894) كتابه: Language And The Study of Study of Language... = اللغة ودراسة اللغة، وفي سنة 1874 ظهر كتابه: The Life And Growth of language"حياة اللغة ونموها"، وهويتني في جوهره عالم في السنسكريتية، ومن أعماله ترجمة بعض المقالات الخاصة بالأصوات اللغوية من السنسكريتية إلى الإنجليزية.[4]

1 ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص270، 271.

2 نفسه، ص271.

3 ينظر: نفسه، ص272.

4 ينظر: نفسه، ص273.

المحاضرة السابعة: الدراسات اللغوية العربية

يتّفق العلماء والباحثون على أنّ الدراسات اللغوية العربية نشأت أول الأمر لخدمة لغة القرآن الكريم؛ بعدما خشي العلماء المسلمون عليه من اللحن أو التحريف بسبب تعدد ألسن الداخلين فيه، وتفشي اللحن في اللسان العربي؛ فعناية العلماء المسلمين بالقرآن الكريم كانت أهم العوامل في تأسيس دراسات لغوية وأدبية تنوعت وتطورت بمرور الزمن.

أولا: جهود العلماء المسلمين في ميدان الدراسات اللسانية

قام المسلمون بجهود جبّارة في ميدان الدراسات اللسانية، "وقد كان الفكر اللساني العربي راقيا جدا، باعتراف اللسانيين الأوربيين الذين يعتقدون أن أهم درسين لسانيين في الفكر الإنساني هما الدرسان العربي والهندي كما يرى (جورج مونان) أنّ علم الأصوات عند العرب علم فذ ممتاز. وسنغمط المسلمين حقهم؛ إذا أردنا أن نستعرض إنجازاتهم اللسانية في صفحات أو كتاب، ولكننا سنذكر أسماء لامعة أضاءت آفاق البحث اللساني، كأبي الأسود الدؤلي بوضعه علم النحو، والخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه (سيبويه)؛ اللذيْن وصفا النظام النحوي، وتوصلا إلى مفاهيم راقية... وأبي نصر الفارابي الذي تكلم عن علم اللسان بطريقة شمولية، ونظم المعارف اللسانية نظما دقيقا. و(الجاحظ) الذي تكلم عن الخطاب اللغوي، ووصف العملية التبليغية واشترط أركانها الثلاثة: المتكلم، السامع، الكلام، وقناة توصل بينهما، التي هي المشافهة في الأغلب، ورأى أن ما يربطهما هي الوظائف؛ وهي عنده ثلاث: الوظيفة الإفهامية (الفهم والإفهام، والبيان والتبيين) – الوظيفة الخطابية – الوظيفة الشعرية."[1]

1 محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص80.

وفي مقدمة كتاب "العين" للخليل بن أحمد تصنيف للأصوات العربية حسب موضع النطق... وقد اختار ترتيب المواد على أساس "الحروف" التي تتكون منها، واختار أن ترتب "الحروف" على أساس مخارجها، فبدأ من أقصاها في الحلق متقدما إلى الشفتين.

وكان تصنيف سيبويه لأصوات العربية حسب "المخارج"، ووصفه لها في باب الإدغام أدق مما ورد عند الخليل، وتناقلت تصانيفهما التآليف العربية من بعدهما، ومن الباحثين من ذكر تأثرهما بالهنود لما بينهما من تشابه، وأنكر الكثير ذلك كالأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، الذي ينكر تأثر حصول أي تأثر بين الدرس الصوتي العربي القديم والدرس اليوناني والهندي ويدافع عن ذلك بأدلة[1] يقول السعران: "هل أخذ العرب أصول تصنيف الأصوات ووصفها عن الهنود؟ أو هل تأثروا بهم في ذلك، ولا سيما أن ذلك قد ظهر عند العرب دفعة واحدة، وظهر عند سيبويه "كاملا"؟ ثم إن دوائر البحور الشعرية التي وضعها الخليل صاحب "علم العروض" نجد شبيها لها عند الهنود من قبل. إن أخذ العرب عن الهنود في الميادين الصوتية واللغوية عامة أو تأثرهم بهم أمر محتمل نظرا، ولكنا لا نملك من الأدلة ما يدعونا إلى القطع بأن أخذا أو تأثرا قد حدث في هذا المجال أو ذاك".[2]

ولقد كان لابن جني الصدى البين في التنظير للغة والتعريف بمستوياتها، وبخاصة المستوى الصوتي؛ فقد خصص لعلم الأصوات كتابا أسماه "سر صناعة الإعراب" هذا ونذكر أيضا ابن خلدون الذي أصل لاجتماعية اللغة، ولجانبها النفسي بقوله: "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعلٌ لسانيٌّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملَكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كلِّ أمة بحسب اصطلاحاتهم."[3]

---

1 ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 2/ 180، 181؛ منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 1912، ص12.

2 محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص80، 81.

3 ابن خلدون، المقدمة2/ 295.

وانقسم علماء العربية في دراسة اللغة والبحث في علومها إلى قسمين؛ الأول اهتم بنحو العربية والثاني اهتم بمتنها، يقول محمود فهمي حجازي: "المشتغلون بعلوم اللغة يصنَّفون مجموعتين؛ تهتم المجموعة الأولى ببنية اللغة، وتهتم المجموعة الثانية بمفردات اللغة ودلالاتها، وقد وصف مجال بحث عند المجموعة الأولى "النحو" أو "علم العربية" بينما وصف مجال بحث المجموعة الثانية بأنه "اللغة" أو "علم اللغة" أو "فقه اللغة" أو "متن اللغة"، وإلى جانب هذه المصطلحات، ولكن منها تاريخ مستقل، وجدت محاولات لوصف علوم اللغة مجتمعة، فسميت "علم اللسان" أو "علوم اللسان العربي" أو "علوم الأدب" أو "العلوم العربية"، كما وجدت إلى جانب هذا محاولات لبيان ترابط هذه الأفرع، وإيضاح النسق الذي يتخذه كل منها في إطار البحث اللغوي العام".[1]

ونلخص وصف الدراسات العربية الإسلامية فيما يأتي:[2]

1- الغنى والتنوع في الصوتيات العربية، والدّقّة في دراسة مخارج الحروف، وكيفية حدوث الأصوات، والتفريق بينها.

2- النظرة الشمولية المتكاملة في الإحاطة بمقومات علم اللسان.

3- اتباع الأسلوب العلمي في استقراء المادة اللغوية، من القرآن والسنة النبوية وكلام العرب، كما تجلى ذلك عند اللغويين والنحاة.

4- النظرة الموضوعية للعلاقة بين الدال والمدلول، على أنها علاقة عرفية اصطلاحية، وأن قيمة اللغة في عُرفيتها واستعمالها؛ إذ يرى ابن حزم -مثلا- أنّ الدلالة اللغوية فعل إرادي مقصود بصاحبه، ومن هنا نشأت فكرة عدم الأفضلية بين اللغات.

1 علم اللغة العربية، ص59.

2 ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص81.

ثانيا: النحو وعلم العربية

أطلق علماء اللغة على دراسة بنية اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية في التراث العربي اسمين اثنين، هما النحو وعلم العربية، ويرجع مصطلح النحو إلى القرن الثاني الهجري، وظل مستخدمًا لوصف هذا المجال من مجالات البحث إلى يومنا هذا.

صُنف كتاب سيبويه بأنه كتاب في النحو، ووصفه أبو الطيب اللغوي(ت351 هـ)، بأنه قرآن النحو كما وصف سيبويه بأنه أعلم الناس بالنحو بعد الخليل.[1] "ويضم النحو بهذا المعنى مجموعة الدراسات التي تصنف في علم اللغة الحديث في إطار الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة. إن سيبويه صاحب أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي لم يقسم كتابه إلى موضوعات كبرى متميزة، وإنما اكتفى بحشد الأبواب الكثيرة متتابعة."[2]

واستخدمت كلمة "النحو" بمدلول أضيق، حيث قصروا استخدامها على البحث في بناء الجملة، "وبهذا المعنى استقر المصطلح في القرون المتأخرة للحضارات العربية الإسلامية، وهناك مصطلح آخر وصف به البحث في بنية اللغة، وهو مصطلح **العربية أو علم العربية**، لقد وصل إلينا المصطلحان في مؤلفات القرن الرابع الهجري، فابن النديم وابن فارس يستخدمان مصطلح العربية بمعنى النحو."[3]

ويذكر ابن خلدون أن المغاربة والأندلسيين عبروا عن النحو بمصطلح "العربية" أو "علم العربية"، ووصف «كتاب سيبويه بأنه في علم العربية وأن ألفية ابن مالك في العربية أيضا، وإذا كان **ابن خالويه** (ت370هـ)، وهو أحد علماء المشرق قد استخدم عبارة "أهل صناعة النحو" فإن ابن خلدون وهو مغربي قد ذكر في نفس المعنى عبارة "أهل صناعة العربية"، وقد أطلق ابن خلدون على القواعد النحوية مصطلحين مترادفين هما: "قوانين

1 ينظر: مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، ص65.

2 محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص59، 60.

3 نفسه، ص61.

العربية"، و"القوانين النحوية"، ومن هذا كله يتضح أن المغاربة والأندلسيين كانوا يستخدمون مصطلح العربية في الوقت الذي كان فيه المشارقة يميلون إلى مصطلح النحو."[1]

وبقي العِلمان؛ النحو عند المشارقة، وعلم العربية عند المغاربة، يضمان الدراسات الخاصة ببنية اللغة بكل مستوياتها.[2] "وعندما ألف **المازني** (ت 349هـ) كتابه التصريف لم يكن البحث في بناء الكلمة إلا جزءًا من النحو بالمعنى الشامل، لم يضع سيبويه اصطلاحًا مستقلا للعلم الذي يبحث بناء الكلمة."[3] و"لم يكن التصريف عند ابن جني إلا جزءا من النحو، وألف **ابن عصفور الأندلسي** (ت699هـ)، في بنية الكلمة كتابه "الممتع في التصريف"، والتصريف عنده جزء من البحث في علم اللغة، وصرح **الأستراباذي** (ت688هـ)، بأن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة، أما مصطلح **الصرف** الذي استقر في الاستخدام المدرسي بعد ذلك فهو اصطلاح متأخر نسبيا، فا**لسكاكي** (ت617هـ)، استخدم مصطلح الصرف في حديثه عن الأحكام الخاصة ببنية الكلمة[4] «وبهذا المعنى ذكر طاش كبرى زاده علم الصرف، ويلاحظ عند هؤلاء المؤلفين المتأخرين أن الصرف عندهم ليس جزءا من النحو، بل هو قسيم النحو، وهكذا استقر مجال عالم النحو عندهم باعتبار أنه دراسة الإعراب وبناء الجملة في مقابل الصرف الذي يتناول بنية الكلمة".[5]

1 نفسه، ص63، 64.

2 ينظر: نفسه، ص64.

3 السابق، ص64.

4 ينظر: السكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب، ت626هـ): مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص42.

5 محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص64.

ثالثا: علم اللسان وعلوم الأدب والعلوم العربية

أول من أطلق على العلوم اللغوية اسم علم اللسان الفارابي، وكانت له أول محاولة جادة في ترتيب علوم اللغة وتحديد ما تتضمنه "....ولكن الفارابي أدخل في علم اللسان بعض الموضوعات التي لا تدخل في علم اللغة بالمعنى الحديث، من ذلك علم الألفاظ المركبة التي صنعها خطباؤهم وشعراؤهم أي دراسة الشعر والنثر، ومن ذلك أيضا قوانين تصحيح الكتابة وقوانين تصحيح القراءة وقوانين الأشعار، وهكذا ضم علم اللسان عند الفارابي علوم اللغة إلى جانب غيرها من العلوم والمهارات."[1]

وعند ابن الأنباري يدل مصطلح علوم الأدب على "علوم اللغة: النحو واللغة والتصريف وعلم الجدل في النحو وعلم أصول النحو بالإضافة إلى العروض والقوافي وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم. أي أن علوم الأدب تشمل عند ابن الأنباري مجموعة العلوم اللغوية والأدبية وما يتعلق بها من معارف، وكان ابن الأنباري أول من اعتبر علم أصول النحو أي مناهج البحث النحوي علمًا قائمًا بذاته، وقد ألف فيه محتذيًا حذو المؤلفين في علم أصول الفقه".[2]

ويعد أبو حيان النحوي "أول من أطلق مصطلح علوم اللسان العربي على علوم اللغة، وقد تابعه ابن خلدون في استخدام هذا المصطلح؛ تضم علوم اللسان العربي عند أبي حيان علم اللغة وعلم التصريف وعلم النحو... وبذلك كان مصطلح "علوم اللسان العربي" عند أبي حيان شاملا لعلوم اللغة عند العرب دون غيرها من العلوم... ولا يقتصر مجال علوم اللسان العربي عند ابن خلدون على النحو واللغة بل ضم إليهما علم البيان وعلم الأدب"[3] وقد أطلق عليها في موضع آخر "العلوم اللسانية"؛ حيث يقول: "... ثمّ النّظر في

1السابق، ص68.

2 نفسه، ص68، 69.

3 ينظر: نفسه، ص69، 70.

القرآن والحديث لابدّ أن تتقدّمه العلوم اللّسانيّة لأنّه متوقّف عليها وهي أصناف. فمنها علم اللّغة وعلم النّحو وعلم البيان وعلم الآداب. "[1]

وجعل (التهانوي) من علوم اللغة أصولا وفروعا، وهي اثنا عشر علما عنده، حيث يقول: "اعلم أنّ علم العربية المسمّى بعلم الأدب علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظا أو كتابة، وينقسم على ما صرّحوا به إلى اثني عشر قسما، منها أصول هي العمدة في ذلك الاحتراز، ومنها فروع، أما الأصول فالبحث فيها إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادّها فعلم اللغة، أو من حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف، أو من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالأصلية والفرعية فعلم الاشتقاق، وإمّا عن المركّبات على الإطلاق، فإمّا باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو، وإمّا باعتبار إفادتها لمعان زائدة على أصل المعنى فعلم المعاني، أو باعتبار كيفية تلك الفائدة في مراتب الوضوح فعلم البيان، وإمّا عن المركّبات الموزونة، فإمّا من حيث وزنها فعلم العروض، أو من حيث أواخر أبياتها فعلم القافية. وأمّا الفروع فالبحث فيها إمّا أن يتعلّق بنقوش الكتابة فعلم الخط، أو يختصّ بالمنظوم فعلم عروض الشعراء، أو بالمنثور فعلم إنشاء النثر من الرسائل، أو من الخطب، أو لا يختص بشيء منهما فعلم المحاضرات ومنه التواريخ؛ وأمّا البديع فقد جعلوه ذيلا لعلمي البلاغة لا قسما برأسه."[2]

1 مقدمة ابن خلدون1/ 550.

2 التهانوي (محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي، ت بعد ١١٥٨هـ): كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، 1/ 17.

المحاضرة الثامنة: مقدمات الدراسات اللغوية في القرن العشرين

أولا: بدايات لسانيات القرن العشرين

بدأ علماء اللغة حوالي نهاية القرن التاسع عشر يتخلصون من طغيان نظرية التطور؛ فقد أنكر بعضهم أن تكون التغيرات اللغوية مماثلة للتغيرات التي تحدث في العالم الطبيعي، وقد ساعد على ذلك أمور منها المذهب الجديد الذي طلع به (جول جبيرون "1854-1926") على الناس في "علم اللغة الجغرافي" حيث أخذ العلماء ينظرون إلى اللغة على أنها بنية أو نظام عناصره المختلفة يعتمد بعضها على بعض.[1]

في هذه الأثناء ظهرت محاضرات فرديناند دي سوسير (1857-1913) التي نشرها تلاميذه سنة 1916، ومن التصورات الجديدة التي أدخلها دي سوسير تمييزه بين "اللغة" من حيث هي لغة، وبين الكلام؛ أي بين النظام اللغوي الذي تشترك فيه جماعة من الجماعات وبين الاستعمال الفعلي الذي يقوم به المتكلم باللغة لهذا "النظام"، وهذا يتفق ونظرة (مييه) إلى اللغة على أنها "ظاهرة اجتماعية"؛ وهنا استعملت اللغة بمعنى اللسان.

ثم إن دي سوسير رأى أن اللغة "نظام من العلامات" التي تتكون من شيء مسموع ومن تصور مرتبط به ارتباطا لا انفصام له... فدي سوسير لا ينظر إلى اللغة على أنها جوهر بل ينظر إليها على أنها صورة، ورأى بضرورة وجود علم جديد يدرس كل نظم العلامات واقترح له اسم "السيميولوجيا" أي علم العلامات.[2]

ثانيا: تأثر دي سوسير بعلم الاجتماع

كان تأثر دي سوسير بعلم الاجتماع بارزا على نظرته للغة، يقول السعران: "وقد تأثر دي سوسير وأكثر تلامذته بمذهب إميل دوركايم في علم الاجتماع، ولقد كان (إميل

1 ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص276.

2 ينظر: نفسه، ص276، 277.

دوركايم) صديقا لفرديناد دي سوسير –كما كان صديقا ومراسلا منتظما للعالم اللغوي (بودوان دي كورتناي)، إن دي سوسير السويسري ومجموعة العلماء الفرنسيين، ومجموعة العلماء البراغيين كانوا متأثرين بإميل دوركايم... وكان دوركايم نفسه متأثرا (بكارل ماركس)."[1]

عُني الأمير الروسي المهاجر (ن. تروبتسكوى 1890–1938) وتلميذه ومساعده الروسي (رومان جاكوبسون ولد سنة 1896) بأفكار دي سوسير الخاصة بـ"الفونيم".

هذان العالمان وأشياعهما ظهروا بتصور جديد أصبح علما هو "الفونولوجيا"، وقد ميز (تروبتسكوي وجاكوبسون) ومساعدوهما بين الفونولوجيا وبين "الفونيتيك" أي علم الأصوات اللغوية...

ثالثا: جماعة كوبنهاجن الدانيماركية

تشمل جماعة "كوبنهاجن" لغويين أشهرهم (لويس هيملسلف 1899–1965) الذي أسس بالتعاون مع (هانس يورغن أولدال 1887– 1942) نظرية "دلالية" جديدة في اللغة تعرف باسم Glossematics؛ "على أساس أن اللغة شكل أكثر من كونها مادة... ولكن هيلمسلف وجد معارضة شديدة من كثير من علماء اللغة، ويرى الأستاذ (فيرث) أن نظرية هيلمسلف نظرية مجردة، أنها نظرية منطقية رياضية، وصاحبها قد غالى في المبادئ التي نادى بها دي سوسير، تخريجا وتأويلا واستنباطا وتطبيقا، مغالاة لا توحي بها كتابات دي سوسير".[2]

1 السابق، ص277.

2 نفسه، ص279.

رابعا: لسانيات القرن العشرين في أمريكا

أشهر اللغويين الأمريكيين في القرن العشرين (ليونارد بلومفيلد 1881–1949)، (وإدوارد سابير 1884–1939)، "وكتاب "اللغة" ل(بلومفيلد) هو عمدة الأمريكيين. وبلومفيلد كما ذكرنا من أصحاب نظرية السلوك، والسلوكيون ينكرون أو يكادون ينكرون وجود أي عملية ذهنية، فأراد أن يتخلص من المعنى قدر الإمكان، فعنده أن معنى أي صورة من الصور اللغوية هو الحالة التي ينطق فيها المتكلم بهذه الصورة والأثر الذي يحدثه في السامع."[1]

أما إدوارد سابير فلم يكن سلوكيا، واقترح تصنيفا للنظم اللغوية على أساس البنية اللغوية.[2]

1 السابق، ص280.

2 ينظر: نفسه، ص280.

المحاضرة التاسعة: ثنائيات دي سوسير

أولا: اللغة واللسان والكلام عند فردناند دي سوسير

فرَّق دي سوسير بين المصطلحات الثلاثة: اللغة، واللسان، والكلام:

اللغة: قبل عرض مفهوم اللغة عند دي سوسير، نذكر ببعض التعريفات العربية السابقة على تعريف دي سوسير:

• يقول **ابن جني** (ت 391هـ) عن اللغة: إنها "أصوات يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم."[1]

فاللغة عنده ذات طبيعة صوتية؛ فالنطق أساسها والمنطوق مادتها، وغرضها التواصل ودافعها تبليغ الأغراض والحاجات، وتختلف من جماعة إلى أخرى؛ وهذا هو مفهوم اللسان في اللسانيات الحديثة، وما يختلف فيه عن اللغة التي هي خاصية بشرية عامة.

• ويقول **ابن خلدون** في حدِّ اللغة: "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعلٌ لسانيٌّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملَكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كلِّ أمة بحسب اصطلاحاتهم." [2] فاللغة عنده وسيلة التعبير عن مقاصد المتكلمين، وتأتي لغرض وإفادة؛ فهي وظيفية قصدية اجتماعية، كما هي ملكة فطرية، وتختلف من قوم إلى آخرين.

وهذا قليل من كثير ذكره علماؤنا أحببنا أن نشير إلى بعض ما له علاقة مباشرة بالفكر اللساني الحديث عموما، وبما ذكره فردناند دي سوسير في نظريته اللغوية التي كانت فتحا لسانيا، ونجد المفهوم الذي وضعه للغة لا يختلف في أكثر ما يوحي به على ما ذُكر قبله عند سابقيه من علمائنا؛ فهو يعرف اللغة بأنها نظام مجرد من الرموز والعلامات الصوتية تربطها علاقات، وتوجد في أذهان الجماعة اللغوية، تحقِّق التواصلَ بينهم،

1 ابن جني: الخصائص1/ 33.

2 ابن خلدون: المقدمة2/ 295.

ويكتسبها الفرد سماعًا في جماعته.[1] ففي تعريفه هذا يذكر ما أقره ابن جني وابن خلدون في التعريفيْن السابقيْن.

ويقول دي سوسير في هذا الصدد: إن قيمة "الكل هي في أجزائه، كما أن قيمة الأجزاء تأتي في مكانتها في هذا الكل وذاك؛ ولهذا فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء والكل أهميتُها بين الأجزاء وفيما بينها."[2]

نستنتج مما قاله دي سوسير في تعريفه اللغة أنّ: اللغة نظام، وأن اللسان ظاهرة اجتماعية ومحتواه رصيد يستودع في أدمغة مجموعة من الأشخاص ينتمون إلى مجتمع واحد، والكلام عمل فردي،؛ فاللسان جوهري والكلام عرضي، واللغة بحسب دي سوسير ظاهرة اجتماعية، تُستخدم لتحقيق التفاهم (الاتصال) بين الناس، ونظام يقوم على أساس اتفاق اصطلاحي، وقد انطلق كما أشرنا في البداية من التمييز بين ثلاثة مفاهيم في دراسة اللغة، وهي: اللغة، واللسان، والكلام.

فاللغة la langage عنده ظاهرة عامة يتفرَّد بها الإنسان عن سائر الكائنات، يقول: "فإن نظرنا إلى اللغة في شموليتها وكليتها، نجدها متعددة متباينة الأجناس"[3]، فهي تتكوَّن من مسائل غير متجانسة: مسائل نفسية، مسائل فيزيولوجية، مسائل اجتماعية، مسائل فيزيائية... إلخ، هذا ما جعله يحكم عليها بأنها لا تصلح أن تكون موضوعًا للسانيات؛ "لأنها لا تمثِّل واقعة اجتماعية خالصة؛ حيث إنها تخصُّ الفرد وتخص الجماعة[4]؛ أي إنها لا تشتمل على وحدة الموضوع، الذي هو شرط مهم في علمية أيِّ علم.

1 محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار نشر إفريقيا شرق، 2006، ص23.

2 فردينان دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، ص149.

3 محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، ص23.

4 ينظر: مدكور عاطف: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة القاهرة، 1987، ص29.

أما **اللسان** la langue عنده فهو جزء محدود أساسي من اللغة، وهو إنتاجً مجتمعيّ أساسه ملكة اللغة، وتفاهم واتفاق بين أفراد الجماعة عن سنن.[1] فهو ظاهرة اجتماعية ينتج عن ممارسته الفردية وسط الجماعة اللغوية الكلام.

واللسان خاص بقبيلة أو جماعة أو مجتمع محدد؛ كاللسان العربي، واللسان الألماني، واللسان التركي، والإنجليزي... وغيرها من الألسنة؛ فاللسان ظاهرة اجتماعية تعمّ جميع أفراد جماعة لسانية واحدة.

نخلص مما ذكرنا ومن تعريف دي سوسير للسان إلى أنه يتميز بكونه خاصا ومعيّنا وجزءا من اللغة، ومستقلا عن الكلام، ومتفقا عليه، وظاهرة اجتماعية؛ وهو الجانب العملي المستفاد منه في اللغة؛ لهذا جعل دي سوسير اللسانَ موضوع اللسانيات.

وأما **الكلام** parole فهو الملفوظ في عملية التواصل، أو هو الجانب الإجرائي في اللسان؛ فهو كلُّ ما ينطق به أفراد المجتمع المعين؛ وما يختارونه من كلمات وتراكيب.[2] بالاعتماد على المعرفة المشتركة لدى الجماعة اللغوية المعينة، وشرط الكلام هو وجود متكلم ومستمع.

نقول إجمالا: اللغة ملَكة بشرية، واللسان تواضع اجتماعي، والكلام إنجاز فردي ملموس بوعيٍ واختيار.

ثانيا: الدليل اللغوي وخصائصه

الدليل اللغوي هو اللفظ الدال على شيء أو معنى معين اعتمادا على الصوت. والدليل اللغوي في نظر دي سوسير لا يربط بين اللفظ ومسماه (الشيء والمفهوم) بل يربط بين المفهوم والصورة الصوتية؛ فهو كيان ذهني مكون من الدال (الصورة الصوتية)،

1 ينظر: دي سوسير: محاضرات في علم اللسان، ترجمة: عبد القادر قنيني، ص23.

2 ينظر: محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1991م، ص200.

والمدلول الذي هو ما توحي إليه تلك الصورة الصوتية (المفهوم) الذي يبنيه الإنسان من تصوره للشيء مشخصا محسوسا أو مجردا.

فالصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي لأنه شيء فيزيائي محض، بل انطباع هذا الصوت في النفس والصورة الصادرة كما تشاهده حواسنا؛ فالدليل اللغوي إذن كيان نفساني ذو وجهين، مركب متكون من المفهوم والصورة الصوتية (صورة اللفظ في الذهن) أي المدلول والدال.

ويتميز الدليل اللغوي بما يلي:

الاعتباطية: يتصف الدليل اللغوي مثله مثل الأدلة الوضعية بالاعتباطية (غير مبررة منطقيا)؛ أي أن فيه العلاقة التي تربط الدال بالمدلول علاقة وضعية غير طبيعية وغير حتمية ملزمة.

إلا أن دي سوسير أشار إلى وجود بعض الكلمات التي تحاكي بعض أصوات الطبيعة يسميها بالكلمات المحاكية : onomatopée وهي موجودة في كل اللغات.

الخطية: الدليل اللغوي وركيزته المادية (الصوت) له بعد واحد هو بعد خط الزمن، فهو يتسلسل عند إحداثه نطقا أو كتابة تسلسل الزمن في خط واحد أفقي يسمى في علوم اللسان مدرج الكلام.

الكيان التفاضلي: يكتسب الدليل اللغوي قيمته التمييزية بمقابلته بالوحدات الأخرى المماثلة في النظام.

ثالثا: ثنائيات دي سوسير

إنّ التغيرات التي أحدثها دي سوسير في مجال الدراسة اللسانية تظهر بشكل واضح في الثنائيات التي تشكل أساس المنهج الوصفي الذي كان يسعى إلى تطبيقه، ونذكر من بين هذه الثنائيات:

1- اللسان / الكلام Langue-Parole

توصل دي سوسير بعد دراسة اللغة دراسة معمقة إلى اكتشاف الخصائص التي تميز اللسان عن الكلام، حيث توصل إلى أن:

- **اللسان** (Langue) هو النظام التواصلي التي يتملكه كل فرد متكلم أو مستمع مثالي ينتمي إلى مجتمع لغوي له خصوصيات ثقافية وحضارية؛ فهو جماعي أي أن الجماعة هي التي تواضعت عليه واتفقت على استعماله.

- **الكلام** (Parole) هو التجسيد الفعلي والواقعي للسان ويختلف من شخص إلى آخر تبعا لاختلاف البيئة والمستوى الدراسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

ويورد دي سوسير مجموعة من المقاييس للتفريق بين اللسان والكلام هي:

أ: اللسان سنن (code) ويقتضي ذلك إقامة صلة بين "صور مسموعة" و"مفاهيم" أما الكلام فهو تنفيذ المتكلمين لذلك السنن.

ب: اللسان خزان وملكات ذهنية ولا سيما الذاكرة؛ يخزن فيه مجموعة كبيرة من العلامات المنفردة، ومجال تنظيمها في جمل وتنسيق معانيها الكلام؛ أي استخدام اللسان.

ت: اللسان ظاهرة اجتماعية، والكلام استعمال فردي؛ فاللسان عقد جماعي ولا مناص من الخضوع لسلطته إذا رمنا التواصل.

واللسان هو نظام/ نسق من القيم والعلاقات بين عدد من العناصر، وكلّ عنصر هو في الوقت نفسه قيمة بالنسبة إلى عنصر آخر. فإذا كانت العلاقة بين الحرف (ر) والحرف (غ) في اللسان العربي علاقة تقابلية فهو في اللسان الفرنسي علاقة تبادلية؛ فاستبدال الراء في كلمة ROBE في الفرنسية لا يغير من المعنى.

أما الكلام فهو العمل الفردي في إخراج اللغة إلى الوجود المحسوس كتابة أو تلفظا تنفيذا لنظام اللسان، وهو عمل فردي يوجهه الفكر والإرادة.

ويشبه هذا التمييز الذي أقامه دي سوسير بين اللسان والكلام التفريق الذي أقامه تشومسكي بين الملكة والأداء أو القدرة والإنجاز.

2- **الآني / التاريخي** Synchronique – Diachronique

توصل دي سوسير بعد الدراسة إلى أن اللغة نظام قائم بذاته يدرس في فترة زمنية محددة، وهو من ناحية أخرى تطور تاريخي، وقد رأى أنه بناء على هذا التصور يمكن التمييز بين منهجين للدراسة اللسانية.

المنهج الأول: يسمّى بالمنهج التاريخي أو التطوري ويهتم بتتبع التحولات والتغيرات التي تطرأ على الظاهرة اللغوية عبر الحقب الزمنية المختلفة، وتفسير أسباب هذه التحولات.

والمنهج الثاني: هو المنهج الوصفي أو الآني؛ وهو الذي يدرس اللغة من جميع جوانبها أو من جانب واحد أو أكثر في فترة زمنية محدّدة.

3- الدال / المدلول Singnifiant– Signifié :

من بين النتائج التي توصل إليها دي سوسير من خلال دراسته اللغة باعتبارها ظاهرة مشتركة التوصل إلى أن اللغة تتكون من وحدات أساسية متوافقة بينها تسمى بالعلامات اللسانية أو الرموز اللغوية (Signes) وتتكون هذه العلامات من صورة سمعية

تتمثل في السلسلة الصوتية المدركة بالسمع، ومفهوم وهو مجموع السمات الدلالية التي تحيل إليها الكلمة أو اللفظ؛ فمثلا كلمة جمل هي علامة لسانية تتكون من صورة سمعية وهي الإدراك السمعي والنفسي لتعاقب الأصوات وتتابعها (ج.م.ل) ومفهوم وهو[1] مجموع السمات الدلالية التي توحي إليها هذه الكلمة (حيوان صحراي – ذو سنام –ضخم الجثة –صبور. .. الخ). وإن التتابع الصوتي بمفرده لا يكون علامة، كما أن السمات الدلالية إذا عزلناها عن الألفاظ التي تدل عليها لا تشكل علامة لسانية؛ فالعلامة اللسانية إذن هي ذلك الكل المتكامل للمفهوم + الصورة السمعية.

وقد فضل دي سوسير إطلاق مصطلح العلامة اللسانية على هذا الكل المتكامل واستبدل مصطلحي مفهوم /صورة سمعية بمصطلحي دال/مدلول –Signifiant) Signifié) والعلاقة بينهما علاقة اعتباطية.

4–الاختيار/التوزيع : Paradigmatique –Sintagmatique

الاختيار يقابله التوزيع، يقوم على أساسهما إنتاج الكلام وتأليفه:

أ– **الاختيار أو الاستبدال:** وهو اللجوء إلى استعمال كلمة واحدة من بين مجموعة من الكلمات التي تنتمي إلى عائلة واحدة أو إلى حقل دلالي واحد.

2– **التوزيع أو التركيب:** وهو ضم الكلمات إلى بعضها أو هو النظم بمفهوم عبد القاهر الجرجاني، وهو ملازم الاختيار وتاليه لتأليف الكلام، وتتمثل هذه المرحلة في رصف الكلمات، وترتيبها ترتيبا منطقيا تقتفى فيه قوانين النحو، فمثلا يفرض على مؤلف الكلام أن يأتي بالمضاف إليه بعد المضاف وليس قبله وصلة الموصول بعد اسم الموصول، والمجرور بعد الجار...

1 مدكور عاطف: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص29؛ أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص37.

المحاضرة العاشرة: دورة التخاطب (تحقيق التواصل)

اللغة في علم اللسان الحديث وما بعد البنوية تعد نشاطا غير منعزل؛ يتحقق بتبادل الخطاب بين اثنين فأكثر مخاطِب ومخاطَب، وفق ظروف ومقام معينين، وفي سياق خاص، وهذه النظرة مخالفة لما يراه البنويون الذين يهتمون بالمتلقي ولا يراعون حال المخاطِب؛ فاللغة ليست نظاما من الأدلة ومستودعا في أدمغة المتكلمين؛ بل هي إنتاج بكيفياته، واستعمال في حالاته، وخطأ أصحاب المذهب البنوي، انطلاقهم من الكلام معزولا عن قائله؛ أي دراسته وتحليله بعد أن ينتهي منه صاحبه، وهنا يهملون بهذا جزءا أساسيا من دورة التخاطب؛ وهو ما يتعلق بالمخاطِب/ المتكلم. وهذا الذي دفع بالباحثين إلى الاهتمام بكل عناصر الخطاب، وما يحقق نجاح دور الوظيفة الأساسية للغة، وتحقيق التواصل والتفاعل بين عناصر الخطاب، وإحلال ظاهرة الكلام محلها الطبيعي وهو دورة التخاطب.

أولا: وظائف اللسان وتحقيق دورة التخاطب (التواصل)

للسان وظائف كثيرة ومتنوعة ويعد (رومان جاكبسون JAKOBSON) من أبرز اللسانيين الذين أثاروا هذا الموضوع، ذلك أنه وإن توفرت إشارات في كتب متفرقة وأقوال غير متكاملة عن هذه الوظائف فإن جاكبسون قد أجملها في ست وظائف، استعان في وضعها – رغم كونه بنويا– بالنموذج الذي يستعمله مهندسو الإعلام والاتصال، في توضيحهم لدورة الخطاب أو التواصل، ويرى أن هناك ستة عناصر ضرورية لإتمام عملية التواصل هي:

1– المرسل.

2– المرسل إليه.

3– الرسالة.

4- السياق.

5- السنن.

6- القناة أو الصلة.

وهي القوانين والقواعد التي يشترك فيها طرفا الإرسال، وعلى أساسها توصل إلى الوظائف التالية:

1- الوظيفة التبليغية: وهي وظيفة اللسان الرئيسية، وتتمثل في نقل الفائدة أو الخبر، وهو الغرض الأصلي من الكلام، وهو حصول التبليغ والفهم، وتشمل عناصر دورة التخاطب كلها.

2- الوظيفة التعبيرية: وتتمثل في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر والعواطف، وتتعلق بالعبارات والعناصر اللغوية التي تخص موقف المتكلم في تأدية رسالته أو تبليغ خطابه، وتسمى الوظيفة الانفعالية، وتظهر بشكل واضح في الشعر الوجداني.

3- الوظيفة الخطابية: وهي التي تتضح عندما يوجَّه الخطاب إلى المرسل إليه، أو المخاطب بفتح الطاء، من أجل التأثير في نفسه، ودفعه إلى الانفعال، والتجاوب مع الخطاب لغويا أو حركيا أو ذهنيا، بتوجيهه بحسب رغبة المتحدث ومقاصده.

4- الوظيفة التوصيلية: وهي التي تعكس الظروف التي يتم فيها الخطاب، وتتمثل في تلك المؤشرات أو العناصر اللغوية التي تستعمل لتأكيد توصيل الكلام، وللتأكد من استمراره، ولفت انتباه السامع إلى أن الخطاب يصله في أحسن الأحوال وأفضل الظروف، وأن القناة الموصلة للكلام على أحسن وجه، ومن أمثلة ذلك أدوات التنبيه: أسمعت، مفهوم، نعم ، قلت لك ، وكلمة ألو...إلخ .

5- الوظيفة اللسانية: وتسمى أيضا بالوظيفة التحقيقية، وهي وظيفة ذات طابع خاص، حيث تتعلق ببنية النظام اللغوي وسننه، ووصفه من الناحية الصورية التجريدية،

وتسمى في اللغة الأجنبية Métalangage، وتُظهر هذه الوظيفة مدى إدراك المتكلم الوضع الذي يستعمله أثناء التخاطب اليومي.

6- الوظيفة الجمالية: ويسميها جاكبسون الوظيفة الشعرية، لأن الشعر يصور الجانب الجمالي للغة أحسن تصوير، بما يشتمل عليه من موسيقى داخلية وخارجية، ومحسنات بديعية وصور بيانية.

واستعمل جاكبسون من أجل الوصول إلى وظائفه نظرية الفائدة، التي كان صاحبها (كلود شانون) تلميذ (نوربرت وينر)، وهي نظرية تقنية وضعها علماء الاتصال لتكميم الفائدة -أي قياسها قياسا كميا- التي تشتمل عليها الرسالة، فإذا كان الخبر مهما بالنسبة للمرسل إليه تكون كميته مرتفعة وعالية، وإذا كان الخبر غير مهم بالنسبة إليه فإن كميته تكون منخفضة، فهي نظرية قائمة على نسبة فائدة الخطاب التي تتحقق للمتلقي.

وأهم المبادئ التي تقوم عليها تبليغ أكثر ما يمكن من معلومات بأقل تكلفة ممكنة، ولتوضيح ذلك نضرب مثلا بالبرقيات، التيبقتصر في كتابتها على ما هو معتبر في نقل الفائدة فقط، لأن الزيادة في الكلمات تكلفة إضافية.

وتقاس كمية الفائدة أو المعلومات بوحدة البايت (BIT) وهي مختصرة للعبارة الأنجليزية (BINARY DIGIT) ولها قاعدة رياضية تحسب بها معروفة عند المختصين.

دورة التخاطب عند العلماء العرب:

نجد في الدراسات العربية الإسلامية قديما أن العلماء العرب قد فهموا مقتضيات العملية التبليغية وتقسيماتها فهما عميقا.

وهذه دورة التخاطب عندهم كما تصوروها وقدمها عبد الرحمن الحاج صالح:

الخطاب،

تموج الهواء،

الوضع،

المتكلم،

المخاطب،

ألفاظ ومعان،

أغراض،

القرائن الحالية والمقالية،

ثانيا: شروط تحقق دورة التخاطب أو التواصل (عناصرها)

لا تتمّ هذه العملية إلا إذا توافرت جميع عناصر الخطاب وهي كالآتي:

1-المرسل: وهو المتكلم أو صاحب الرسالة أو هو الشخص الذي يريد تبليغ خبر ما أو فكرة معينة إلى المستمع بغرض الإفادة.

2-المرسل إليه: وهو السامع أو المتلقي أو المخاطَب، وهو الذي يوجه إليه الخطاب سواء أكان هذا الخطاب شفهيا أو كتابيا.

3-جهاز الإرسال: وهو الوسيلة المستعملة أو المعتمد عليها في إرسال الخطاب إلى المرسل إليه تختلف هذه الوسيلة باختلاف مادة الخطاب فإذا كان الخطاب شفهيا فإن جهاز الإرسال هو الآلة المصوتة (الجهاز النطقي لدى الإنسان)، أما إذا كان الخطاب كتابيا فإن جهاز الإرسال هو القلم أو أي جهاز كتابة.

4-جهاز الالتقاط (الاستقبال): هو الوسيلة التي يتم بواسطتها استقبال المعلومة أو الفكرة أو الخبر، ويختلف أيضا باختلاف نوع الخطاب.

5-القناة: وهي الأداة التي ينتقل عبرها الكلام أو الخطاب من المرسل إلى المرسل إليه وتختلف هي الأخرى باختلاف طبيعة الخطاب.

6-الوضع (السنن): هو مجموع الكلمات والتراكيب والقواعد المتفق عليها بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، ولا تتم عملية التواصل إلا باحترام الوضع؛ فعند صياغة الكلام يقوم المرسل أو المتكلم بعملية خاصة تسمى عند علماء الاتصال **بالاستيضاع؛** خلالها يقوم المتكلم بتركيب الكلام في ذهنه (الأفكار والمعاني التي يريد تبليغها) وفق الوضع المتعارف عليه في المجتمع.

وعندما يصل الكلام إلى المرسل إليه فإنه يقوم بعملية عكسية مشابهة للأولى تسمى **بالتوضيع،** ويتم خلالها تحويل الألفاظ والأصوات المرسلة إليه إلى معان تستطيع فهمها ولا تتم هذه العملية إلا بالرجوع إلى الوضع الذي استعمله المتكلم أو المرسل.

7-الخطاب أو الرسالة (Message): وهو محتوى الكلام أو مضمون الرسالة التي يريد المرسل تبليغها إلى المرسل إليه.

عندما تتوفر العناصر السبعة المذكورة في وضعها الطبيعي تكتمل دورة التخاطب، وتتم عملية التبليغ على أحسن وجه غير أن هناك عراقيل وحواجز قد تطرأ على الدورة كلها أو عنصرا واحدا منها أو أكثر فتحدث خللا في عملية التواصل، وتسمى هذه العراقيل في لغة علماء الاتصال بالتشويش، ولا يوجد في الواقع خطاب خال من التشويش إلا إذا تم هذا الخطاب في ظروف خاصة مثالية.

المحاضرة الحادية عشرة: الصوتيات (علم الأصوات)

أولا: علم الأصوات عند القدامى

علم الأصوات هو العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية، من حيث وصف مخارجها، وكيفية حدوثها، وصفاتها المختلفة، التي تميز الصوت عن الآخر، والقوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثرها بعضها ببعض، عند تركيبها لتشكل الكلمات أو لتشكل الجمل.[1]

ولم يقسم اليونان أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين وهما الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة كما فعل الهنود والعرب[2]، "أما تصنيف الأصوات إلى "صامتة" وإلى "صائتة" فقد أدركه كل من اليونان والرومان والهنود والعرب... وقد أطلق كل من اليونان والهنود اسما خاصا على كل من هاتين الطبقتين، فاليونان قد سموا ما نعرفه بالصامتة Sumphena، وسموا ما نعرفه بالصائتة Phoneenta، أما العرب فهم، وإن أدركوا أساس هذا التقسيم، إلا أنهم لم يطلقوا على كل قسم اسما يعرف به."[3]

ولم يتفطن اليونان إلى تصنيف أصوات لغتهم إلى مجهورة ومهموسة بخلاف الهنود والعرب[4]، "أما تصنيف الأصوات إلى "صامتة" وإلى "صائتة" فقد أدركه من اليونان والرومان والهنود والعرب، نمثل للصامتة أو للصوامت بكل الأصوات العربية فيما عدا "الحركات" "وحروف المد واللين"، أما الحركات وحروف المد واللين كألف ما، وواو "ذو" وياء "في" فنحن نسميها "صائتة" أو "صوائت"."[5]

---

1 ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص13.

2 ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص76.

3 نفسه، ص76، 77.

4 ينظر: نفسه، ص76.

5 نفسه، ص76.

ثانيا: مفهوم الصوت والصوتيات

أ- تعريف الصوت: الصوت ظاهرة فيزيائية عامة الوجود في الطبيعة.

ب- تعريف الصوت اللغوي: هو كل صوت يخرج من الجهاز الصوتي البشري ويدركه السامع (أي أذنه)، وهو أصغر وحدة في النظام اللغوي.

ج- الصوتيات (علم الأصوات): هي فرع عن اللسانيات، وعلم الأصوات هو العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية دراسة علمية، باستعمال الأجهزة والمخابر؛ من حيث وصف مخارجها وتحديد صفاتها المختلفة، وكيفية حدوثها، وما يتميّز به كل حرف عن الآخر، وتأثير بعضها في بعض عند تركيب الكلمات والجمل.[1]

ثالثا: مراحل حدوث الأصوات

يتمّ حدوث الأصوات وفق مراحل ثلاث يختص بكل منها علم يدرسها هو فرع من الصوتيات:

-**المرحلة الأولى:** إحداث الأصوات اللغوية: وهي مرحلة النطق وإخراج الأصوات إلى الوجود، باستخدام جميع أعضاء الجهاز الصوتي؛ وهذا المظهر هو التوليدي الإحداثي، أي الفيزيولوجي، وتعنى به **الصوتيات الفيزيولوجية.**

-**المرحلة الثانية:** إرسال هذه الأصوات بواسطة موجة واهتزاز صوتي عبر الهواء: وهي مرحلة الإرسال، تظهر من خلالها البنية الفيزيائية للظواهر الاهتزازية للأصوات اللغوية، ويتمثل هذا المظهر في الجانب الفيزيائي المحض، تختص بدراسته **الصوتيات الفيزيائية.**

-**المرحلة الثالثة:** إدراك هذه الأصوات بواسطة الأذن: وهي مرحلة الإدراك بواسطة الجهاز السمعي(الأذن)، وينتج عن ذلك تفاعل نفسي صوتي معين، وهذا هو الجانب

1 ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص13.

الإدراكي النفسي السمعي للأصوات اللغوية، والعلم الفرعي الذي يدرسه هو **الصوتيات السمعية**، معتمدة على صفاته الفيزيائية النفسية والفيزيولوجية.

رابعا: تصنيف الأصوات حسب المخارج

اتفق كل من اليونان والرومان والهنود والعرب في تصنيف الأصوات بناء على المخارج، واختلفوا في اعتماد الهنود والعرب الأساس الفسيولوجي، واعتماد اليونان والرومان ملاحظة الآثار السمعية للأصوات. يقول محمود السعران: "صنف كل من اليونان والرومان والهنود والعرب أصوات لغتهم حسب "موضع النطق" أو حسب "المخارج" إذا استعملنا المصطلح العربي القديم، ولكن تصنيف اليونان وتصنيف الرومان يقومان على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات، لا على أسس فسيولوجية كالتصنيفين الهندي والعربي".[1] ويقر كثير من اللسانيين العرب بالتشابه الكبير بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب المخارج، وبين تصنيف العرب لأصوات العربية على هذا الأساس، "ومن مظاهر التشابه أن الهنود يرتبون الأصوات ابتداء من أقصاها في الحلق إلى الشفتين ثم يذكرون الأصوات الأنفية، وهذا الترتيب هو الذي نجده عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعند سيبويه، وهو الذي سار عليه المؤلفون العرب من بعد."[2]

وكان تصنيف الأصوات حسب موضع النطق "المخارج" ابتداء من أقصى الحلق إلى الأنف عند الهنود وعند العرب، ويرجع تصنيف أصوات العربية على أساس النطق إلى سيبويه، "والذي توضع الأصوات العربية على أساسه في ثلاث طبقات هي "الشديدة" و"الرخوة" و"ما بين الشديدة والرخوة". "والشديدة" في هذا التصنيف هي الهمزة والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء والدال، والباء والرخوة هي الهاء، والحاء والغين، والخاء، والشين، والصاد والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. أما "ما بين

1 علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص77.

2 نفسه، ص77.

الشديدة والرخوة" فتضم الهمزة، واللام، والميم، والراء، والواو، والألف "كألف "ما" وواو "ذو" وياء "في" فنحن نسميها "صائتة" أو "صوائت"."[1]

خامسا: فروع علم الأصوات

كثرت البحوث والدراسات المتخصصة في علم الأصوات تماشيا مع اتساع الدراسات اللغوية، ودقة تخصصاتها وتفرع علومها، ومما توصل إليه المختصون في هذا المجال، تفريع علم الأصوات إلى:

1- علم الأصوات النطقي (La phonétiquearticulaire)، أو علم الأصوات الفيزيولوجي، وهو الفرع الأساسي لعلم الأصوات العام، ويهتم بدراسة أعضاء النطق وحركاتها وبيان وظائفها، أثناء إحداث الكلام، ويتابع اندفاع الهواء من الرئتين أو إليهما، وكيفيات تسرب الهواء إلى خارج الجهاز الصوتي.

2- علم الأصوات السمعي (la phonétique auditoire): جهاز اِلتقاط الصّوت هو الأذن، وهي أداة السمع الطبيعية الضرورية لاستكمال عملية التواصل الكلامي، ويهتم علم الأصوات السمعي بدراسة السمع وإدراك أصوات الكلام، وتترجم موجات الكلام إلى مفاهيم.

3- علم الأصوات الفيزيائي: يمثل المرحلة الوسيطة بين الصوتيات النطقية، والسمعية، ويهتم بخاصيات الصوت الفيزيائية، وفي دراسته يضطر الأصواتيّون إلى الاستعانة برجال الفيزياء والطبيعة والمختصّين في علوم الاتصال الصوتي.

4- علم الأصوات التجريبي، أو المعملي أو الآلي: la phonétique) (expérimentale /laboratoire ouinstrumentale: وظيفة هذا الفرع إجراء التجارب

1 السابق، ص78.

على المادة الصوتية، في مكان معد خصيصا لهذا الغرض (المخبر) لأجل اكتشاف الخصائص الفيزيائية والنطقية للصوت.

5- علم الأصوات الوصفي (phonétique descriptive): يهتم بوصف أصوات اللغة في فترة زمنية محددة؛ حيث يقوم بحصر أصوات لغوية معينة وتسجيلها، كما هي في الاستعمال.

6- **علم الأصوات المعياري** (phonétique normative): الصوتيات المعيارية غايتها ضبط قواعد للنطق الجيد تخص لغة من اللغات، مع محاولة فرض هذه القوانين باعتبارها قوانين ذات طبيعة معيارية، مقبولة، يمكن الاعتماد عليها وتعميمها.

7- علم الأصوات المقارن (phonétique comparative): يقوم بمقارنة الحقائق الصوتية بعضها ببعض في فترات زمنية متلاحقة، إما في اللغة الواحدة، وإما في لغات متعددة تربطها صلات لغوية فيقارن بين أصواتها.

المحاضرة الثانية عشرة: الصوتيات الوظيفية (الفونولوجيا)

أولا: مفهوم الفونولوجيا

الفونولوجيا فرع من فروع علم اللغة، وهي علم يبحث في النظم والأنماط الصوتية، وتأسست على يد علماء مدرسة براغ، ويعد (تروبتسكوي Nicolas Sergueevitch Troubetzko1890–1939) المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي؛ ففي المؤتمر العالمي الأول للسانيات الذي انعقد في مدينة لاهاي عام 1928 تقدم بالاشتراك مع جاكبسون (R.JAKOBSON) وكارسفيسكي (KARCEVSKI) ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية، وهو البرنامج الذي نشأ حوله النادي اللساني في براغ وظهر في كتابه مبادئ الفونولوجيا الذي نشر سنة 1939 بعد وفاته.

وفي حالة دراسة لغة ما فونولوجيا يتعين في البداية معرفة النظام الصوتي لتلك اللغة.

والنظام الصوتي هو جميع الأصوات اللغوية المتمايزة بعضها عن بعض في لغة ما، وهو العلم الذي يدرس الصوت باعتباره وحدة في البنية اللغوية؛ أي من حيث علاقته بالأصوات السابقة عليه واللاحقة إياه، ومعنى ذات وظيفة؛ تفرق بين المعاني، وتميز بين الدلالات، كما يدرس علاقة الصوت بالدلالة والمعنى.

والوحدة التي تستخدمها الفونولوجيا في التحليل هي الفونيم، يقول السعران: "هذا التحليل الوظيفي؛ أي تحديد المميزات الصوتية في لغة من اللغات، هذه المميزات "الفارقة"، ووضع النظام "الفونيمي" للغة، ونظام الخصائص التي تعرض للفونيمات تسميه الآن الغالبية من علماء اللغة وعلماء الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، و"الفونولوجيا" بهذا المعنى وضع

أسسها منذ ما يزيد على ثلاثين سنة جماعة من كبار اللغويين هم المعروفون بـ"مدرسة براغ" أو "جماعة براغ" اللغوية، أشهرهم (تروبتسكوى)، و(جاكوبسون)."[1]

ثانيا: بين الفونولوجيا والفونتيك: تستعمل "الفونولوجيا" عند بعض العلماء مرادفة لكلمة Phonetics، وتدرس الخصائص الوظيفية للأصوات في الخطاب المنجز بمعزل عن طبيعتها الفيزيولوجية والفيزيائية، و"الفصل الحاد بين Phonetics وPhonology وهو فصل دعت إليه ودعمته "مدرسة براغ" إذ اعتبرت العلم الأول علما "طبيعيا" يستخدم وسائل آلية، واعتبرت الثاني "علما لغويا" ينبغي ألا يؤدي بنا إلى اعتبار كل من هذين علما مستقلا لا علاقة له بالآخر."[2]

ويمكن فهم الفرق بين الفونولوجيا والصوتيات انطلاقا من الفرق بين الفونيم والصوت.

الفونيم (Phonème) هو أصغر وحدة صوتية ليس لها معنى في ذاتها، لكنها قادرة على توليد المعنى وتفريعه وتنويعه، وهو العنصر الصوتي الذي يشكل موضوع علم الأصوات الوظيفي.

ينطلق عمل الفونولوجيا من مفهوم الفونام؛ أما عمل الصوتيات فينطلق من مفهوم الصوت؛ لذلك يهتم الفونولوجي بالكيفية التي يختار بها كل لسان عددا معينا من مجموعة الأصوات المتوفرة لديه، والتي تنشئ – انطلاقا منها– فونيمات ذات دلالة في نظامها. بينما يهتم عالم الصوتيات بالطريقة التي يحقق بها متكلمو لسان ما الأصوات.

ثالثا: معنى التحليل الوظيفي أو الفونولوجي

يعني التحليل الفونولوجي تحديد المميّزات الصوتية الفارقة معنى ودلالة للغة معينة، وإبراز التقابل الحاصل بين أصواتها، ومن ثم وضع النظام الفونيمي لها، ومثال ذلك في

1 محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص164، 165.
2 السابق، ص165.

العربية التقابل الذي بين «التاء و"الدال" مثلا؛ لأنّنا نقول: "تاء" ثم نحُلّ مَحلّ التاء دالا، ولا ندخل أي تغيير آخر على الكلمة، فنقول: "داء"، وهي من كلمات العربية، فالتاء "فونيم" والدال "فونيم"، وثمة تقابل في العربية بين "الفتحة" و"الضمة" فكلمة" "كَرَم" اسم في العربية ولكن "كَرُم" فعل، فالفتحة في العربية "فونيم" والضمة "فونيم"، كما أنّ الكسرة "فونيم" لأننا نقول: "سَفْر" بمعنى جماعة المسافرين و"سِفْر" بمعنى الكتاب."[1]

ومما يكون فيه التقابل الذي بين السين والزاي نحو: سار وزار، ومثال ذلك أيضا تنوعات "النون" وتخفيفها بحسب سياقها الصوتي، ويكون الاختلاف الفارقي بين الأصوات بحسب اللغات؛ "إن أزواج الأصوات التي يحدث بينها "تقابل" تختلف في لغة عنها في أخرى عددا ونوعا، ومن هذا أن السين ومجهوره "الزاي" زوج بينه تقابل في العربية، فنحن نقول: "سار" و"زار"."[2] والنون في "نهر" صوتيا فسيولوجيا غير النون في "منك" و"عنك"، "وثمة تقابل في العربية بين "الفتحة" و"الضمة" فكلمة" "كَرَم" اسم في العربية ولكن "كَرُم" فعل، فالفتحة في العربية "فونيم" والضمة "فونيم"، كما أن الكسرة "فونيم" لأننا نقول: "سفر" بمعنى جماعة المسافرين و"سفر" بمعنى الكتاب."[3]

ومثالها الاختلافات الفردية العضوية من حيث نطق الكلمة الواحدة في اللغة الواحدة تفخيما وترقيقا كما هو ملاحظ عند الرجل والمرأة.

إن لهذه الخصائص كلها أهمية بالغة في الدراسة الصوتية، فإن معرفتنا لهيئات الحلق والفم وغيرها من الأعضاء ، ولمعرفتنا في نفس الوقت للصفات الفيزيائية التي تختص بها الأصوات، وربطنا هذه بتلك تجعلنا نحدد هوية كل حرف، ونشخصه تشخيصا فيزيائيا وفيزيولوجيا.

1السابق، ص163.

2 نفسه، ص163.

3 محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص163.

المحاضرة الثالثة عشرة: النظرية الوظيفية

أولا: مفهوم الوظيفة ونشأة الوظيفية

قبل الحديث عن هذه النظرية، وأهم مبادئها نحدد الإطار المفاهيمي للوظيفة والوظيفية وذلك من خلال بعض التعاريف اللغوية؛ حيث جاء في لسان العرب: «وظف الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب وجمعها الوظائف أو الوظف. ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفا ألزمه إياه، وقد وظفت له توظيفا على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل.»[1] ونجد في القواميس والمعاجم الحديثة الوظيفة بمعنى العمل أو الدور الذي يقوم به الفرد، وبناء على هذا نقول أن النظرية اللسانية الوظيفية هي النظرية التي تبحث في دور اللغة؛ أي وظيفة الاتصال والتواصل والتخاطب هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبحث في دور عناصر اللغة أصوات وكلمات وجمل.

إذن الوظيفية تطلق على "المذهب الوظيفي في القرن العشرين، وتعد امتدادا للاتجاه العقلاني، وقد أطلقت الوظيفية في البداية على الهندسة المعمارية، وعلم الاجتماع، فهو مثلا يستمد مبادئه كمذهب من مسلمة ترى أن المجتمع هو كل عنصر عضوي، يتحقق من خلال الوظائف التي تؤديها عناصره المختلفة"[2] ليتوسع نطاقها ليمس الدراسات اللسانية.

وتعني **الوظيفة** الدور الذي تؤدّيه اللغة كظاهرة اجتماعية وهو التّواصل. و**الوظيفية:** نسبة إلى الوظيفة، كقولنا مدرسة لغوية نسبة إلى اللغة، وتعني في الاتجاه الوظيفي التداولي ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والبيان، ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة وتابعة لها.

---

1 ابن منظور: لسان العرب (و، ظ، ف)

2 بلقاسم إيمان فاطمة الزهراء: المونيمات الوظيفية في المعلقات السبع (دراسة نحوية لسانية)، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2016-2017، ص 32.

ظهرت النظرية الوظيفية في أوائل النصف الأول من القرن العشرين بمدينة براغ التشيكوسلوفاكية، حيث قام بعض اللسانيين بإنشاء حلقة بحث في المسائل الصوتية واللسانية عرفت بـ**حلقة براغ**، ومنها تسمية هذا المذهب الذي يمثله بعض أتباع (فرديناند دي سوسير) ممن سموا بالوظيفيين، بدأت مع (تروباتسكوي) وتطورت على أيدي (ياكوبسون) و(مارتيني).

سمّي هذا المذهب بالمذهب الوظيفي لأن أصحابه يرون بأنّ دراسة اللسان تتمثل في البحث عن الوظائف التي تقوم بها عناصر القول في عملية التبليغ والتواصل انطلاقا مما جاء به دي سوسير وهي إقراره بأن الوظيفة الأساسية للسان هي التبليغ.

ونجد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يفسر الوظيفة بالعمل أو الدور، وهو الدور الذي يؤديه كل عنصر من عناصر اللغة، والوظيفية عنده نسبة إلى هذا؛ حيث يقول عن مدرسة براغ: "أخَص شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي على العمل (أو الدور) الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ، ولهذا سميت النزعات المتفرعة عنها، ومنها مدرسة (مارتيني) الفرنسية بالوظيفية."[1]، وإلى هذا المصطلح تنسب مدارس واتجاهات لغوية بدأت تبرز مع ظهور مدرسة براغ، وتحاول أن تفسّر ظواهر اللغة من كلّ جوانبها.

ويرى التيار الوظيفي (Functionalism) أن اللغة وسيلة الإنسان في التبليغ والتواصل وترتبط بمقوماته الاجتماعية والثقافية والحضارية، يقول عبد السلام المسدي: "محدد اللغة وظيفيا أنها أداة الإنسان إلى إنجاز العملية الإبلاغية في صلب المجتمع مما

1 مدخل إلى علم اللسان الحديث(3)، مجلة اللسانيات، المجلد2، العدد1، الجزائر، 1972، ص54.

يطوع تحويل التعايش الجماعي إلى مؤسسة إنسانية تتحلى بكل المقومات الثقافية والحضارية".[1]

ويجدر بنا هنا التنبيه على أنها تلت النظرية الوظيفية عند مارتيني نظريات تأخذ بعين الاعتبار البعد الوظيفي في وصف اللغة، ومنها ما كان يدعى "الدلالة التوليدية" (Generative semantics)، والنظرية الوظيفية المقترحة في إطار مدرسة هارفارد الأمريكية، والمدارس الوظيفية الأوروبية التي منها المدرسة النسقية (Systemics) ومدرسة براغ (Functional sentence perspective) وأخيراً النحو الوظيفي (Functional Grammar) لسيمون ديك Simon Dik (1978).

وقد وضع الوظيفيون منهجهم أصلا وابتداء لتحليل الأصوات، تحت اسم الفونولوجيا (الصوتيات الوظيفية)، ساعين من وراء ذلك إلى معرفة الوظيفة الأولى لتلك الأصوات التي يؤلف مجموعها، مرتبة ومتعاقبة، مدرج الكلام.

ثانيا: أهم مبادئ النظرية الوظيفية وما حققته

من أهم ما ميز هذه النظرية وما حققته:

- حددت هذه المدرسة الوظيفة الحقيقية للغة والمتمثلة في الاتصال والتواصل.
- وضعت نظرية كاملة في التحليل الفونولوجي.
- بينت أنّ اللغة ظاهرة طبيعية ذات واقع مادي بعوامل خارجة عنه.
- كشفت عن تأثر اللغة بكثير من الظواهر العقلية والنفسية والاجتماعية.

1اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر ،تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص31.

ثالثا: التقطيع المزدوج

انطلقت هذه النظرية من دور أو وظيفة اللغة الرئيسية العامة المتمثلة في التواصل والتبليغ وصولا إلى دور أصغر الوحدات اللغوية من خلال البحث عن القطع الصوتية ووظائفها؛ "إذ إن الباحث هو الذي يسعى إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب؛ أي أنه يبحث عن الوحدات التي يمكنها أن تغير المعنى كلما استبدلت بأخرى؛ فتغيُّر معنى الوحدات اللغوية دليل على أن لها وظيفة؛ فالمعنى والوظيفة إذاً هما جوهر اهتمامات المدرسة الوظيفية الأوروبية."[1]

والتقطيع المزدوج مصطلح أنشأه (أندري مارتيني) ويعني تقطيع الحروف أو الأصوات، للتمييز بين الوحدات الدالة وغير الدالة.

يرى الوظيفيون أنّ اللغة منظمة بطريقة ازدواجية، بمعنى أنها تحتوي على وحدات لغوية ذات دلالة "الألفاظ"، تجزأ هذه الوحدات بدورها إلى وحدات أصغر ليست لها دلالة في ذاتها، ولكنها قادرة على تغيير المعنى، ولا تقبل التقطيع؛ تسمى الوحدات الأولى (القابلة للتجزئة) المونيمات (Monèmes) وتسمى الوحدات الثانية (غير القابلة للتجزئة أو التقطيع) الفونيمات (Phonèmes) وهي الوحدات الصوتية الدنيا.نحو: الولد يلعب.

التقطيع الأول: ال/ ولد/ يلعب (صيغة يفعل).

التقطيع الثاني: تقطيع كلمة وَلَد: و/ الفتحة /لـ /الفتحة /د. غير أن هذا لا يصدق دائما على العربية.

1 شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004، ص17.

وانطلاقًا من هذا التحليل يكون التقطيع المزدوج حسب مارتيني قانونًا أساسًا من قوانين اللغة البشرية عموما.

رابعا: أنواع الوحدات التركيبية

تنقسم الوحدات التركيبية عند المدرسة الوظيفية بحسب ارتباط بعضها ببعض وبحسب الدور الذي تؤديه في مدرج الكلام إلى الأشكال:

اللفظة الممزوجة: يكون الدال فيها منطويا على مدلولين أو أكثر لا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية، مثال ذلك : رجال. تدل على الجمع وعلى معنى الرجال.

اللفظة المفروقة: كثيرا ما يتحدد المدلول الواحد في اللسان بمقطعين موجودين في نقطتين متباعدتين بالمدرج الصوتي، بمعنى أنّ الدال يتجزأ إلى قطعتين أو أكثر لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة مثال ذلك: nous marchons

اللفظة المشتركة: هي عبارة عن دال واحد يتقاسمه مدلولان أو أكثر، ويمكن للفظة المشتركة أن تستقل بمدلول واحد من هذه المدلولات، يتحدد من السياق الذي ترد فيه، مثال ذلك صيغة المضارع التي نجدها في: المخاطب المفرد المذكر: أنت **تكتب**.

والغائب المفرد المؤنث هي **تكتب**.

اللفظة العدمية: إنّ غياب العلامة دليل على وجود الفَرق. مثل: المذكر (ممرض)Ø (غياب تاء المؤنث). والمؤنث (ممرضة).

اللفظة المستقلة: (Monèmes autonomes) هي لفظة لا تحتاج إلى لفظات أخرى لتحديد وظائفها؛ لأن هذه الوظيفة مكتفية بذاتها، كما أن موقعها لا يحدد معناها،

مثال: أمس، غدا، البارحة، حقا، فعلا، إذن... فورود هذه الوحدة في مواقع مختلفة من القول لن يؤثر على وظيفتها.

اللفظة الوظيفية: هي وحدات تختص بتحديد وظائف وحدات أخرى مثل حروف الجر.

اللفظة المقيدة بالموقع: تحدد وظيفة هذه اللفظة بموقعها في قول من الأقوال، مثال ذلك أن الترتيب لا يكون عشوائيا في المضاف إليه والصفة والموصوف.

اللفظة الاتحادية: لفظة يتحدد معناها بتركيب أكثر من لفظة : جواز سفر.

لقد شملت نشاطات المدرسة الوظيفية العديد من المجالات نذكر منها: "الصوتيات الوظيفية الآنية، والصوتيات الوظيفية التاريخية، والتحليل الوصفي والعروضي، وتصنيف التضاد الفونولوجي، والأسلوبية اللسانية الوظيفية، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون."[1]

خامسا: نبذة عن مدرسة براغ وروّادها

الحديث عن النظرية الوظيفية يحيلنا إلى مدرسة براغ التي تأسست سنة 1928 بعد انعقاد أول مؤتمر دولي للسانيات بلاهاي وهو المؤتمر الذي ظهرت في رحابه الفونولوجيا.

لقد تبنت مدرسة براغ المبادئ السوسيرية مع قولبتها في قالب وظيفي وتطبيقها في المجال الصوتي في إطار دراسة وظائف اللغة وعناصرها، "أطلق مؤسسو مدرسة براغ على منهجهم الخاص بالدراسة الصوتية اسم الصوتيات الوظيفية (Phonology)، ويتولى هذا

1أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005، ص136.

الفرع من اللسانيات الحديثة دراسة المعنى الوظيفي للنمط الصوتي ضمن نظام اللغة الشاملة، واستخراج كل الفونيمات، وضبط خصائصها، وتحديد كيفية توزيع ألوفوناتها"[1]

ومن أولويات هذه المدرسة الاهتمام بالصوتيات، أو الفونولوجيا الوظيفية ففرق روادها بين "الفونيم ككيان صوتي له قيمة تمييزية في البنية اللغوية، وبين الصوت الذي يمثل تنوعا في رتبة هذه الوحدة... وقد غلب عليهم أمران: الاهتمام بالصوتيات، ثم الاهتمام بالوظائف اللغوية، أي المهام التي تؤديها اللغة"[2]

ولم تحدد الوظيفية منهجها إلاّ بالانطلاق من تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل. واعتمدت مدرسة براغ هذا المنطلق لتدرس الأصوات خاصة وتضبط منهجا للتمييز بين ما هو وظيفي فيها وما ليس وظيفيا، وكان (تروباتسكوي) هو الذي بلور في أجلى مظهر نتائج أعمالها في كتابه: مبادئ الأصوات الوظيفية (principes de phonologie).

على أن النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل مظاهرها مع مدرسة براغ، فقد تواصل بناؤها وصقلت مبادؤها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق (أندري مارتيني) خاصة، وأهم ما جاء به كما ذكرنا التقطيع المزدوج؛ التقطيع الأول ويتناول الكلمات في صورتها اللفظية ومن حيث مضمونها؛ والتقطيع الثاني الذي لا يعنى فيه إلاّ بالصورة اللفظية.

ويعتمد (جاكوبسون) من جهته على وظائف الكلام وشروط تحققها، كما سبق وأن ذكرنا.

1- السابق، ص 137.

2- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار الميسرة، الأردن، 2007، ص22.

المحاضرة الرابعة عشرة: النظرية التوزيعية

ظهرت هذه المدرسة في الولايات المتحدة الأمريكية سنة1930، وتميّز مذهبها بعلاقته بعلم النفس السلوكي الذي كان مهيمنا آنذاك على الولايات المتحدة.

كان **(بلومفيلد)** صاحب أول نمط للبنوية التوزيعية وزعيم هذا المذهب وهو أول من طبق في ميدان اللسانيات فرضيات السلوكيين، حيث كان يعتبر الأحداث اللسانية ظواهر سلوكية من نوع خاص، وكل تصرّف من أجل التبليغ يفترض أن يرسل المتكلم، تحت تأثير ظروف معينة (مثير) أصواتا تتطلب رد فعل (استجابة) من المخاطَب؛ فاللغة عند السلوكيين مجموعة من العادات الصوتية يكيفها حافز البيئة؛ فمتكلم اللغة يسمع جملة معينة أو يشعر بشعور معين، فتحصل لديه استجابة كلامية، دون أن ترتبط هذه الاستجابة بشكل من أشكال التفكير؛ فالاستجابة الكلامية، كما يقول (سكينر)، مرتبطة بصورة مباشرة بالحافز، ولا تتطلب تدخل الأفكار أو القواعد النحوية.

ومن هنا فدراسة اللغة بالاعتماد على المذهب السلوكي يظهر اللغة على أنها تنظيم من الأشكال، وليست شبكة من المعاني، ويشير بلومفيلد إلى أنّ العملية السابقة للكلام هي المثيرStimulus وعملية الكلام تشكل الاستجابة.

أولا: مفهوم التوزيع والتوزيعية

يقوم التوزيع أو التفريع على تمييز المكونات اللغوية من خلال ملاحظة العناصر المحيطة بكل عنصر منها في سياق الكلام، وتشير كلمة توزيع إلى مجموع العناصر التي تحيط، أو يمكنها أن تحيط بكل مكون يريد الباحث تحليله، كما يدل مصطلح التوزيع على

الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن ما يحيط به في التركيب اللغوي، ويُنتقى فيه هذا العنصر دون غيره من العناصر اللغوية الأخرى.[1]

وحدّد التوزيعيون كل جزء من أجزاء الكلام بما يمكن أنْ يوجد حوله من عناصر في السياق الذي يرد فيه عادة، فهم يعرِّفون أقسام الكلم تعريفًا موقعيًا؛ فكل العناصر التي تحتل الموضع نفسه في السياق تنتمي إلى القسم نفسه من أقسام الكلام.[2] وهذا الذي فعله النحاة العرب الأقدمون؛ حيث صنفوا أقسام الكلام بحسب ما تأتلف معه، وبحسب السوابق واللواحق في التركيب.

ثانيا: منهجية البحث لدى التوزيعيين

يقوم البحث عند التوزيعيين على جمع المدونة، أو مجموعة من الملفوظات، تشكل عينة تمثيلية ومنسجمة للغة المدروسة، وتقطع المدونة بعد جمعها، ولتحقيق ذلك تسعى التوزيعية إلى مقاربة القطع والملفوظات والمقارنة بينها شيئا فشيئا حتى تصل إلى تحديد المورفيمات المشكلة لتلك اللغة المدروسة، ويوسع التحليل إلى مجمل المدونة،وبذا تحدد البنية التوزيعية، أي دور كل كلمة في سياق اللغة.

. إقصاء المعنى: يرى التوزيعيون بأنَّ الوصف اللساني يجري على البنية السّطحية من الكلام؛ أي المنطوق أو المكتوب، وكل محاولة تسعى إلى البحث عن أشياء خلف السطح هي عند التوزيعيّين وهْم منهجي عقيم، ولهذا يصرون على "استبعاد المعنى استبعادًا كليًا من التحليل اللغوي، ليس لأنَّه لا أهمية له، بل لإيمان أصحاب هذه المدرسة بأنَّ

1 ينظر: ميشال زكريا: الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص34.

2ينظر: جورج مونان: مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، تقديم: صالح القرمادي، منشورات سعيدان، تونس، ط2، 1981، ص108.

المعنى لا يمكن إخضاعه لنوع الدراسة الوصفية العلمية الدقيقة التي يمكن أنْ تخضع لها الأنساق الظاهرة الأخرى".[1]

ثالثا: طريقة التجزئة إلى المكونات المباشرة

المنهج الأساس المعتمد في تحليل البنية التركيبية لدى التوزيعيين هو التحليل إلى مؤلفات؛ أي أن البنية مؤلفة من طبقات بعضها أكبر من بعض، إلى أنْ يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية (المورفيمات) لكون المورفام Morphème وحدة دنيا تفيد دلالة يبرزها التحليل، ويقابله عند مارتيني مصطلح Monème.

تنقسم مؤلفات الكلام عند التوزيعيين إلى قسمين:

أحدهما: المؤلفات المباشرة Constituants immédiats / Immediate constituent:

وهي مكونات الجملة التي تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر.

والآخر: المؤلفات النهائية Constituants terminaux/ constituents terminals: وهي مؤلفات لا تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر.

لا تتم عملية تجزئة الجمل إلى مكونات مباشرة بصفة عشوائية، بل على نمط منطقي منتظم، والهدف من طريقة التحليل هذه هو بيان الهيكل السُّلَّمي الذي ترتكز عليه الجمل دون أن يؤخذ المعنى بعين الاعتبار.

هناك ثلاث طرق حلل بها التوزيعيون التراكيب اللغوية، نحاول إبرازها وتطبيقها على المثال: الطالب المجتهد / حقق النجاح.

1نايف خورما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،عالم المعرفة، الكويت،1978، ص32.

1-علبة هوكيت (صندوق هوكيت): نسبة إلى (شارل هوكيت Charles Hockett)

ويمكن تحليل المثال السابق وفق ما يسمى بعلبة هوكيت بالشكل:

ال	طالب	ال	مجتهد	حقق	ال	نجاح
الطالب		المجتهد		حقق	النجاح	
الطالب المجتهد "ركن اسمي"				حقق النجاح "ركن فعلي"		
الطالب المجتهد حقق النجاح						

2- طريقة التقويس:

((((ال)(طالب)) ((ال)(مجتهد)))((حقق) ((ال)(نجاح))))

3- التمثيل بالشجرة:

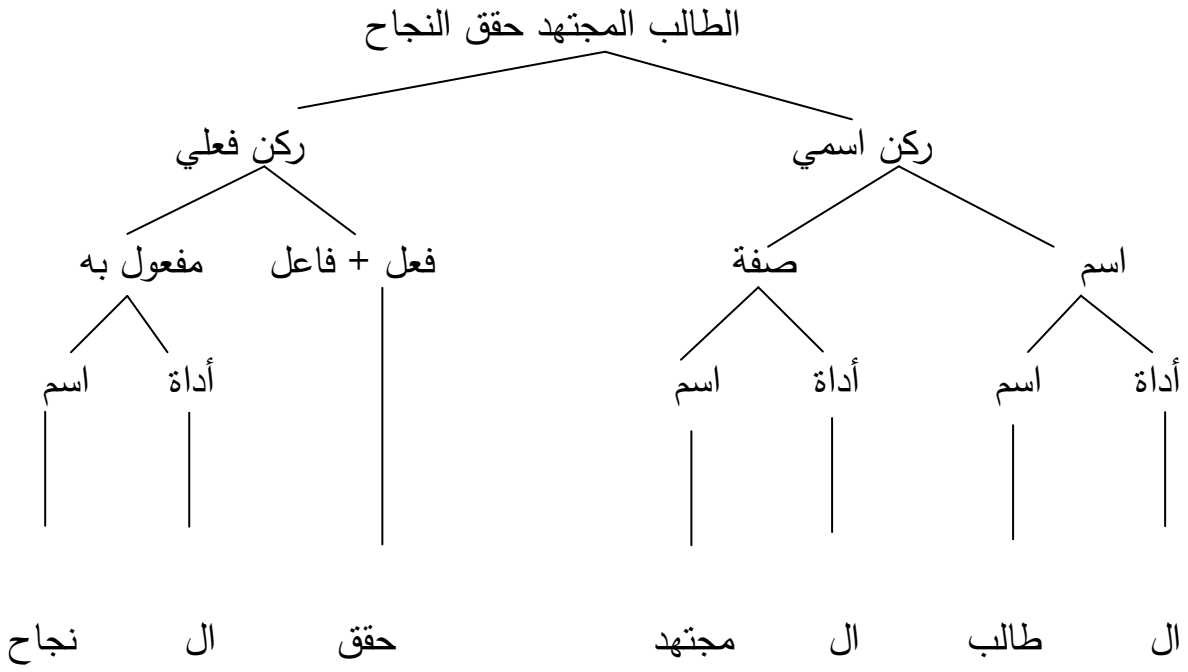

المحاضرة الخامسة عشرة: النظرية التوليدية التحويلية

نشأت النظرية التوليدية التحويلية على أنقاض النظرية التوزيعية التي حددت من جهة اللغة ولخصتها في عنصري المثير والاستجابة، واعتمدت في التحليل من جهة ثانية على مدونة محدودة، لا يمكن لها في أي حال من الأحوال أن تحيط بكل الأشكال اللغوية المتواجدة في لسان ما.

والمنهج التوزيعي لا يهتم بدور المتكلم في تكوين أو إبداع الكلام وإنجازه، ولا يقدم معلومات عن الأسباب التي تجعلنا نقبل أو نرفض جملا تقوم على نفس التوزيع، وتتركب من مكونات مباشرة مماثلة، فلو أخذنا المثالين:

(1) شكر الأستاذ الطلبة على انضباطهم.
(2) شكر القلم الطلبة على انضباطهم.

لاحظنا أن الجملة (1) سليمة مستحسنة أي مقبولة شكلا ومضمونا، وأن الجملة (2) مرفوضة مضمونا وإن كانت مقبولة شكلا في منظور التوزيعيين.

وقد يكون التركيب مزودا بمعنى، ولكنه غير مقبول نحويا؛ أي من الناحية التركيبية، مثل: خرجوا الأطفال إلى الأسواق تتجول.

يعود الفضل في دحض مبادئ المدرسة التوزيعية إلى اللساني الأمريكي **نعوم تشومسكي**، الذي استطاعت نظريته أن تحتل بسرعة مكان سابقتها في البحوث اللسانية الأمريكية.

أولا: المفهوم العام للنظرية

التوليدية من **التوليد**؛ وتعني أن الإنسان مستعد فطريا لتكوين عدد غير محدود من البنى اللغوية وفق قواعد معينة في لغة ما، والتحويلية من **التحويل**؛ ويعني ما يطرأ أو يُحدثه المتكلم من تغييرات على التراكيب كالحذف والزيادة والاستبدال، وتغيير الرتبة.

ينطلق تشومسكي من مبدأ هو أنّ هدف اللسانيات ينبغي أن يسعى إلى إبراز البنى اللغوية التي تسمح بتوليد (أي إنشاء وإدراك) عدد لا متناه من الجمل انطلاقا من عدد محدود من القواعد، ولم تأت هذه النظرية دفعة واحدة، بل مرت بمراحل.

ثانيا: مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية

1- القواعد الركنية:

تعتمد القواعد الركنية في البداية على التحليل إلى مؤلفات مباشرة، وهو التحليل الذي كان سائدًا عند التوزيعيين، ويعتمد تشومسكي في ذلك على قواعد توليدية تنعت بقواعد إعادة الكتابة Règles de réécriture، وقد حاول أنْ يحدد مراحل تطبيق القواعد الركنية التي تقسم الجملة أولاً إلى المعادلة الآتية:

ج= ركن اسمي + ركن فعلي .P=sn + sv : لكونهما الركنين الرئيسين للجملة، ثم تعاد كتابة كل ركن على حِدة بواسطة قواعد إعادة الكتابة إلى أنْ تنتهي العملية بتوليد الجملة كما في مشجر التوزيعيين.

ج ←———	ركن اسمي + ركن فعلي
ركن اسمي←———	تعريف + اسم
ركن فعلي←———	فعل + ركن اسمي
تعريف ←———	ال.

P	sn + sv
SN	art +n
SV	v + sn
AR	

لتحليل البنية التركيبية وفق المعطيات النظرية للسانيات التوليدية والتحويلية لابد من تطبيق القواعد الركنية أولاً، ثم الانتقال إلى القواعد التحويلية بأشكالها المختلفة، وفي نهاية المطاف تطبيق القواعد المورفو- فونولوجية، وتؤدي هذه العملية مرتبة بالشكل المذكور إلى توليد الجملة في شكلها النهائي.

2- الملَكة (الكفاية اللغوية Compétence**) والتأدية (الأداء الكلامي** Performance**):**

الملَكة هي القدرة على إنتاج عدد لا حصر له من الجمل وفهمها، أي قدرة المتكلم/المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية، وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته. هذه الملكة ينطبع عليها الإنسان منذ طفولته، وتمكن الطفل من تعلم اللغة بسرعة فائقة، ومن المحيط الذي يعيش فيه دون اعتبار أصله وجنسيته أو المجموعة البشرية التي ينتمي إليها، إذ بإمكان الطفل الإفريقي أن يتعلم اللغة الصينية إذا نشأ في محيط صيني.

التأدية: هي الاستعمال الآني الفعلي للغة ضمن السياق؛ أي هو محاولة تجسيد الملكة اللغوية في قالب مادي صوتي، وهي الاستعمال الفعلي للغة، ويرى (تشومسكي) أنَّ التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي يرتبط بالثنائية (لسان/ كلام).

3- البنية السطحية والبنية العميقة: يميّز تشومسكي بين البنية السطحية؛ أي البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم وبين البنية العميقة؛ أي القواعد التي أوجدت هذا التتابع؛ فالبنية العميقة مرتبطة بالدلالة، والبنية السطحية مرتبطة بالأصوات.

إن المكوّن التركيبي (Composant syntaxique/ Syntactic component) هو المكوّن التوليدي الذي يحدد بنيتيْ الجملة:

– البنية السطحية Structure de surface/ Surface structure التي تمثل التفسير الفونولوجي للجملة.

– والبنية العميقة Structure profonde / Deep Structure وهي التي تمثل التفسير الدلالي للجملة.

4– الخاصية العالمية للغة: استنتج تشومسكي أنّ للغات خاصيات عالمية، وأنّ جميع اللغات تحتوي على جمل نموذجية تتفرع عنها جمل أخرى، يشترط فيها أن تكون خاضعة للسلامة النحوية والاستحسان، أي أن تكون متماشية من الناحية التركيبية مع قواعد اللسان المدروس، وموافقة من الناحية المعنوية لمدلولات هذا اللسان.

ثالثا: التحويل وأشكاله

1– مفهوم التحويل: التحويل عند التوليديين عملية تربط بين الجملة النواة وبين الجمل المتفرعة عنها، عن طريق قواعد إعادة الكتابة؛ وذلك بإدخال تحويلات مختلفة على البنى اللغوية؛ فاللسان مكون من نماذج بنوية نووية محدودة يمكن بواسطتها وعن طريق التحويل إنشاء عدد لا متناه من الجمل.

2– القاعدة التحويلية: تكمن أهمية القواعد التحويلية في قدرتها الذاتية على تفريع الجمل بحسب العلاقة التي تتبدى في ضوء ما تقدمه هذه القواعد من إجراءات تفسيرية من خلال "بيان العمليات التحويلية المسموح بها ضمن القواعد، وتحديد عددها وترتيبها، وتعداد القيود المتعلقة بتطبيقها".[1] وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين: قواعد تحويلية وجوبية،

1ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983، ص135.

وقواعد تحويلية جوازية (اختيارية)، ويعرف هذا في التراث النحوي العربي بالوجوب والجواز، وجوب أو جواز تقديم عنصر أو حذف عنصر.

3- أشكال التحويل: من أشكال تحويل البنية العميقة إلى سطحية:

1- **التحويل بالحذف:** وذلك بحذف ما أصله الذكر من العناصر الأساسية في الجملة المفيدة كحذف المبتدأ أو الخبر، أو المتممة كحذف الصفة أو الحال... والحذف واجب وجائز، بحسب الغرض المقصود.

2- **التحويل بالزيادة:** وتعني إدخال عناصر على الجملة التوليدية لتصبح جملة تحويلية. نحو: هيهات هيهات ما وعدكم! هيهات الثانية زائدة للتوكيد.

3- **التحويل بالاستبدال:** ويعني تعويض لفظ بلفظ، أو جملة بجملة مع المحافظة على المعنى، نحو: الجنة هي المأوى، أو هي مأواه.

4- **التحويل بتغيير الترتيب:** ويتعلق بالبنية العميقة ويرتبط بالمعنى، وهو نوعان:

- تقديم على نية التأخير، وهو تحويل موضعي. كخبر المبتدأ، نحو: زيد المنطلقُ. ضرب عَمرا زيدٌ.
- تقديم لا على نية التأخير، وهو تحويل جذري. زيدٌ ضربتُه. زيد: مبتدأ.

المحاضرة السادسة عشرة: النظرية التداولية

أولا: ماهية التداولية (مبادئ ومفاهيم)

التداولية: "مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية."[1] وهذا ما يجرنا حتما إلى البحث في ماهية هذا الفعل الكلامي الذي تجعله التداولية أولى أولوياتها هذا الاتجاه في اللسانيات ينظر إلى اللغة باعتبارها نشاطا، وليست مجرد بنى؛ فهي أداة للتبليغ يتحدث بها الإنسان ويتصل بها الغير، فهي استعمال يومي مستمر ومتواصل، بل لا يتحقق إلا ضمن هذا الاستعمال في تفاعل مستمر بين المتكلمين.

والتداولية فرع من اللسانيات يبحث في كيفية استخدام الأدلة اللغوية أثناء عملية التواصل والخطاب، ثم ينظر في هذه العملية ويفسر ويؤول، من ناحيتي المتكلم والكلام؛ والتداولية درس يُعنى بالنظر في مقاصد المتكلّمين وأغراض الكلام من جهة، وفي ظروف الخطاب وملابساته من جهة أخرى؛ لأن المعنى أو الغرض التواصلي المراد لا يتحقق من التراكيب وحدها منعزلة، بل من خلال وقوعها في سياق حالي معيّن، وطرفي خطاب معينين؛ فالتداولية تسعى إلى دراسة صور هذا الاستعمال وتعيد للظواهر الكلامية اعتبارها في الدراسة بعدما جعلتها النظريات البنوية شيئا ثانويا، وأقصته بالتالي من دائرة اهتمام اللغويين.

1 مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص5.

فالطبيعة التبادلية للغة تثبت أن للظواهر الكلامية دورا فعالا في تسيير آليات التبليغ والاتصال اللغوي في المجتمع.

أشار إلى العلاقة بين الكلام ومستعمله في تفسير الكلام أقدم تعريف للتّداولية وهو ما جاء به تشارلز موريس (Charles Morries) سنة 1938م، حيث يرى أنّ "التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات."[1]

التداولية هي ميدان من السيميائية؛ يتناول العلاقة بين العلامات ومستعمليها، بينما يتناول العلاقة بين العلامات والمعنى علم الدلالة، ويتناول العلاقة بين العلامات فيما بينها علم التراكيب.

تكمن وظيفة التداولية في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية التالية: المرسل والمتلقي والوضعية التبليغية؛ أي أن التحليل التداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة.

تهتم التداولية بجوانب عديدة متعلّقة بالخطاب وعناصر الاتّصال (المخاطِب، المخاطَب، الخطاب "الرسالة"، السياق، مقاصد المتكلّم،...)

إنّ(جاك موشلار Jaque Moschller) و(آن روبول Anne Reboul) يعتبران التداولية "دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة لدراسة النظام اللساني الذي يعدّ من اهتمام اللسانيات بصفة خاصّة"[2]، فنجدهما في هذا التعريف يقابلان بين جانب الاستعمال الذي هو من اختصاص التداولية بالجانب التركيبي الذي يعدّ من اختصاص اللسانيات.

ويجمع الباحثون على أنّ الفلسفة التحليلية هي المحضن الفكري للنظرية التداولية، حيث كانت البداية على يد الفيلسوف الألماني **غوتلوب فريجيه** (Gottlobfrégé) (1848-1925)، وجاء بعد غوتلوب فريجيه الفيلسوف النمساوي **لودفيغ فيتغنشتاين** (Ludwing

1 فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداوليّة، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1987م، بيروت، ص8.

2 JaqueMoschller- Anne Reboul :Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition Seuil,1994, p17.

Wittgenstein) واقتفى أثر سابقه، وأسّس اتّجاها فلسفيا جديدا هو فلسفة اللغة العادية الذي يعدّ أحد الاتّجاهات الثلاثة الكبرى التي تفرّعت إليها الفلسفة التحليلية ؛ والتي كانت كالآتي:[1]

- الوضعية المنطقية: positivisme logique بزعامة رودولف كارناب.

- الظاهراتية اللّغوية: phénoménologie du langage بزعامة أدموند هوسرل.

- فلسفة اللغة العادية: philosophie du langage ordinaire بزعامة (لودفيغ فيتغنشتاين).

والتيار الوحيد من بين الثلاثة الماضية الذي يصب في صميم البحث التداولي هو الثالث؛ أي فلسفة اللغة العادية.

وقد تبنى أفكار" فيتغنشتاين" فلاسفة مدرسة "أوكسفورد"، ومنهم على الخصوص (ج.ل. أوستين John Langshaw Austin)، وتلميذه (ج. سيرل Searl John)

ومما قام به أوستين في بدايات عمله تقسيم الجمل إلى وصفية (خبرية)، وجمل إنشائية، وأقر بعد الدراسة والملاحظة بأنّ كلَّ جملة مفيدة مستعملة يقابلها إنجاز لغوي على الأقل.[2] كما اعتبر الجمل الإنشائية أفعالا كلامية؛ ينشئ من خلالها المتكلم وقائع جديدة.

وتعددت تحديدات التداولية، وإن انصبت كلها في معالجة العلاقة بين المتكلمين والسياق الذي يجري فيه الكلام، إلا أن الاختلاف في إدراك ذلك السياق جعل تلك التحديدات تختلف؛ فمنهم من يرى أن التداولية أقوال تتحول إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية بمجرد التلفظ بها، ومنهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار اللغوية التي تظهر في الخطاب، وتدرس بذلك عنصر الذاتية الذي يشمل الضمائر وظروف الزمان والمكان الإبهامية... وهناك اتجاه ينظر في الإطار الضمني والتلميحي والحجاجي للكلام؛ فالسياق يفرض على المتكلم احترام قوانين الخطاب، أثناء مخاطبته لغيره.

1 ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ، ص31 وما بعدها.

2 ينظر: جاك موشلار وآن روبول: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2003، ص31.

وللتداولية مبادئ وأفكار وقف عندها علماؤها وباحثوها منها: القصدية في الخطاب، أفعال الكلام، متضمّنات القول، الاستلزام الحواري، الحجاج.

ثانيا: نظريات التلفظ

أشهر من نظر لها اللساني الفرنسي (إميل بنفنيست)، حيث أكد على ضرورة التمييز بين اللغة باعتبارها سجلا من الأدلة ونظاما تتركب فيه هذه الأدلة، وباعتبارها نشاطا يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة؛ تلك العلامات التي يسميها بنفنيست المبهمات، يكمن دورها في تسيير اللغة خطابا فعليا.

هذا التعبير الذي يسمى عنده الحديث أو التلفظ هو إجراء اللغة وتحقيقها من خلال فعل كلامي فردي.

وقد ميز بنفينيست بين الحديث كفعل؛ أي الفعل ذاته الذي ينتج عنه الكلام، والقول، وهو نتيجة ذلك الفعل؛ فدراسة الحديث تفضي بنا إلى معرفة السيرة الذاتية للمتكلم ومعرفة الحوادث المرتبطة بالزمان والمكان الذي صدر فيه الكلام.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه العناصر اللغوية المشكلة للكلام هي في الوقت نفسه رموز وعلامات تنتمي إلى وضع اللغة من جهة، وتحتوي على عناصر من السياق من جهة أخرى.

ثالثا: نظرية أفعال الكلام

إن المؤسس الأول لهذه النظرية هو الفيلسوف الإنجليزي (ج.ل. أوستين John Langshaw Austin) الذي يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار بقدر ما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات

سياقية، إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية: فحينما يقول القاضي "فتحت الجلسة"، يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا وهو افتتاح الجلسة.

إن الكلام هو بدون شك تبادل معلومات، وهو أيضا تحقيق أفعال مسيرة وفق نمط من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي، وينجر عن ذلك أن فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري وتوجهه التداولي؛ أي قيمته وقوته الكلامية.

وقد ميز أوستين بين نوعين من الأقوال:

– الأقوال التي تصف وضعا معينا لشيء أو شخص، ويسميها الأقوال التقريرية أو الأساليب الخبرية.

– والأقوال التي لا تصف ولا تخبر ولا تمثل ولا هي خاضعة لمعيار الخطأ والصواب؛ بل ميزتها الأساسية هي أن التلفظ بها ينتج عنه فعل في الواقع، وهي الأفعال الإنجازية أو الإنشائية، مثل:

– أعلن الجلسة مفتوحة

– آمرك بفتح الباب

– أعدك بصعود الجبل

الأفعال الكلامية غير المباشرة: هذا المفهوم تناوله طالب أوستين، وهو سيرل، والمقصود به هو تلك الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما تدل عليه في أصل معناها؛ كأن يتلفظ الإنسان بصيغة الاستفهام وهو يقصد بذلك الاستنكار، أو صيغة الاستفهام التي يقصد بها المتكلم الطلب. مثال ذلك: حينما يقول أحد لآخر وهما في مطعم : "هل لديك الملح"؛

فالمقصود بهذا الاستفهام هو الطلب؛ أي أن السائل لا يهمه إن كان الشخص المقابل يمتلك ملحا، إنما غايته هو طلب الملح.

رابعا: نظرية قوانين الخطاب

يشمل هذا النمط من التداولية جل الدراسات والأبحاث المرتبطة بالآليات التي تتحكم في الحديث، والتي تعود أسسها إلى ما أسماه الفيلسوف الإنجليزي (جرايس) "أحكام المحادثة"، أو "قوانين الخطاب" حسب (ديكرو).

والهدف من هذه القوانين هو تمكين المتكلم من صياغة أقواله التي قد تمنعه بعض الأحوال من التصريح بها، ليتمكن المستمع في الأخير من إدراك ما لم يرغب المتكلم في الإفصاح عنه؛ فحينما يقول شخص لآخر «إن قدماي تؤلماني» كرده على سؤال «هل سنخرج ؟» فهو يريد أن يجيبه بعدم الخروج، ولكنه لم يرغب في التصريح بذلك كي لا يجرح الشخص الآخر.

خامسا: متضمنات القول

متضمنات القول هي الأقوال التي ينعدم فيها التصريح، لكن المعنى غير المصرح به متضمن فيها، وقد رأينا ذلك في المثال السابق.

هناك نوعان من هذه الأقوال:

1- الافتراض المسبق: وهي الأقوال التي تشير صيغتها اللسانية إلى ما أراد المتكلم قوله وهو لم يصرح بذلك، مثال: انقطع زيد عن التدخين.

يمكن أن نستنتج من هذا القول أن زيدا كان يدخن سابقا عن طريق تحويله إلى استفهام: هل انقطع زيد عن التدخين؟ أو إلى نفي: لم ينقطع زيد عن التدخين.

2- القول المضمر: هي تلك المعلومات التي يحتويها الكلام، وتحقيقها لا يتم إلا إذا توفرت مجموعة من معطيات السياق: مثال: إن السماء تمطر. إن المتكلم قد يعتقد أشياء كثيرة مثل: الإسراع إلى العمل حتى لا يفوت المتكلم موعد الحافلة، الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.

أظهرت نظرية الحديث، من الاهتمام المتزايد لعملية التبليغ في ذاتها، وما تقتضيه من النظر في العناصر التي تقوم بدور أساسي في هذه العملية، وكانت إرهاصات هذه النظرية مع **بيرس**(1893م-1914م) الذي عاصر **سوسير**، ولكن لم تنشر أعماله إلا في العقد الثالث من القرن العشرين، وقد دعا إلى تناول الدليل في أبعاده الثلاثة التي هي:

1- البعد الدالي أو التركيبي، الذي يتناول الدليل.

2- البعد الدلالي أو الوجودي الذي يربط الدليل بما يدل عليه.

3- البعد التداولي الذي ينظر إلى الدليل من خلال العلاقة التي تربطه بمؤوله؛ أي المتكلم أو المستعمل.

أما في الدراسات العربية الإسلامية، فقد ركز علماؤنا على العناصر الثلاثة: المتكلم والمستمع والمتكلَّم عنه، وفي هذا إشارة واضحة الاهتمام بأفعال الكلام كما عرفها وفهمها المعاصرون، وفي هذا أيضا اهتمام بدور المتكلم والمتكلم عنه؛ فالمتكلم أهمله البنويون والمتكلم عنه أهمله البنويون ومن بعدهم بخلاف الفكر اللغوي العربي، ومثال هذا ما بينه ابن قيم الجوزية معلقا على قول المتكلم "سلام عليكم" أهو خبر أم إنشاء. حيث يرى بـ: "أن هذا ونحوه من ألفاظ الدعاء، متضمن للإنشاء والإخبار؛ فجهة الخبرية فيه لا تناقض جهة الإنشائية، وهذا موضع بديع، يحتاج إلى كشف وإبداع فنقول: الكلام له نسبتان: نسبة إلى المتكلِّم به نفسه، ونسبة إلى المتكلَّم فيه، إما طلبا وإما خبرا، وله نسبة ثالثة إلى المخاطب لا يتعلق بها هذا الغرض وإنما يتعلق تحقيقه بالنسبتين الأوليين، فباعتبار تَينِكَ

النسبتين نشأ التقسيم إلى الخبر والإنشاء، ويُعلم أين يجتمعان وأين يفترقان؛ فله بنسبته إلى قصد المتكلم وإرادته لثبوت مضمونه وصف الإنشاء، وله بنسبته إلى المتكلم فيه والإعلام بتحققه في الخارج وصف الإخبار.، ثم تجتمع النسبتان في موضع وتفترقان في موضع، فكل موضع كان المعنى فيه حاصلا بقصد المتكلم وإرادته فقط..." [1] يذكر الأستاذ الحاج صالح أن هذا الكلام رائع وأنه لم يجد له ما يماثله في كتب الغربيين بعدُ.

1ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ت751هـ): بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ت)، 139/2.

خاتمة:

هذا ما تيسر لي جمعه محاولا التركيز على اليسير السهل التناول، المناسب لمستوى الطالب المبتدئ، ومتخيِّرا المشهور مما تناثر في كتب اللسانيات العامة؛ قاصدا بذلك إعطاء لمحة عامة ومدخل تمهيدي لأهم مبادئ الدرس اللساني، وقد عرضت أهم ما يمكن أن يفيد الطالب في مرحلة التكوين أو في البحث في التخصص مستقبلا مجملا ما رأيته يتطلب الإجمال، ومفصلا ما ألفيته يستحق التفصيل.

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما جمعت وأعددت وأعتزم الاستمرار في تجديد ما ذكرت وتعميقه في قابل أيام التدريس وسنواته.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الطلاب، ويتجاوز عما فيه من خلل أو زلل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

قائمة المراجع:

1- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار الميسرة، الأردن، 2007.

2- أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

3- أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005.

4- أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1999.

5- أحمد مختار عبد الحميد عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8، 2003.

6- أحمد بن فارس (أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ت395هـ): الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

7- بلقاسم إيمان فاطمة الزهراء: المونيمات الوظيفية في المعلقات السبع (دراسة نحوية لسانية)، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2016-2017.

8- التهانوي (محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي، ت بعد 1158هـ): كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.

9- جاك موشلار وآن روبول: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2003.

10- ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت392هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (د ت).

11- جورج مونان: علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة، دمشق، (د ت).

12- جورج مونان: مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، تقديم: صالح القرمادي، منشورات سعيدان، تونس، ط2، 1981.

13- جون ليونز: اللغة وعلم اللغة، ترجمة: مصطفى زكي حسن التوني، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، (د ت).

14- حسن ظاظا: اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1990.

15- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ت808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م.

16- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1993.

17- دي سوسير (فردينان): محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ط1، 1986.

18- دي سوسير(فردينان): محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبدالقادر قنيني، دار نشر إفريقيا شرق، 2006.

19- الراغب الأصفهاني، (ت502هـ): مفردات غريب القرآن، دار القلم، دمشق، (د ت).

20- رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م.

21- زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

22- السكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب، ت626هـ): مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

23- ابن سنان الخفاجي(أبو محمد عبد الله بن محمد، ت466هـ): سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

24- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004.

25- أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، حققه وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د ت).

26- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2005.

27- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث(3)، مجلة اللسانيات، المجلد2، العدد1، الجزائر، 1972.

28- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 1912.

29- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.

30- الفارابي أبو نصر: إحصاء العلوم، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1991.

31- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداوليّة، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1987م.

32- ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ت751هـ): بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ت).

33- ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1419 هـ - 1998م.

34- محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1991م.

35- محمد فوزي حمزة: دواوين الشعراء العشرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2016.

36- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997.

37- محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، دار غريب، (د ت).

38- مدكور عاطف: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة القاهرة، 1987.

39- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

40- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، (دت)، (ل غ و).

41- ميشال زكريا: الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

42- ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983.

43- نايف خورما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1978.

44- ابن يعيش (موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، ت643هـ): شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

45- 1 Jaque Moschller- Anne Reboul :Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition Seuil,1994.

46- L. Bloomfield: Language, A set of postulates for the science of Language, in Psycholinguistics ed. by Sol Saporta.

محتويات المطبوعة:

رقم المحاضرة	العنـــــــــــوان	الصفحة
/	مقدمة	03
.1	مفاهيم أساسية	04
.2	بين اللغة واللسانيات وفقه اللغة	14
.3	اللسانيات: خصائصها أهدافها وأقسامها	19
.4	الدراسات اللغوية عند الأمم القديمة	27
.5	دراسات العصور الوسطى وعصر النهضة	34
.6	دراسات القرن الثامن عشر والتاسع عشر	38
.7	الدراسات اللغوية العربية	41
.8	مقدمات الدراسات اللغوية في القرن العشرين	48
.9	ثنائيات دي سوسير	51
.10	دورة التخاطب (التواصل)	58
.11	الصوتيات (علم الأصوات)	63
.12	الصوتيات الوظيفية (الفونولوجيا)	68
.13	النظرية الوظيفية	71
.14	النظرية التوزيعية	78
.15	النظرية التوليدية التحويلية	82
.16	النظرية التداولية	87
/	خاتمة	95
/	قائمة المراجع	96
/	محتويات المطبوعة	99